عالمية اللغة العربية

بثينة عبد الله عبد الغني آل عبد الغني

الدوحة – قطر

مقدّمة

يرى كثير من الباحثين أنّ حديث العرب عن اللّغة يكثر ويتّسع ويشغل المنتديات والعاملين في مجال الأدب والتربية والسياسة والاقتصاد، ومجالات أخرى عديدة حين تشتدُّ الأزمات، وتدْلهم الخطوب، وتشعر الأمّة العربيّة بشيء من التهديد يمسُّ هويتها ويسعي سعيا حثيثا لطمس تراثها وزلزلة معتقدها؛ لأنّ هناك ارتباطاً وثيقاً لدى المسلم العربيّ وواقعه بالقرآن واللّغة العربيّة، نتج عنه ارتباط آخر بين اللّغة العربيّة والهويّة العربيّة الإسلاميّة، وارتباط ثالث بين التّراث العربيّ واللّغة العربيّة التي كُتِب بها هذا التّراث.

ولا ريب أننا الآن نعيش زمنًا كثر فيه التشكيك في الهويّة العربيّة، وسادت فيه الطنطنة باللغات الأعجميّة، وضعف فيه الإنفاق في كل ما ينفع ويعين اللغة العربيّة على أداء دورها الحضاري المنوط بها، ورسالتها العالمية التي أهلها الله تعالى لحملها وتبليغها للناس كافة. ومع ذلك فقد شحذت الهمم وقُدِّم الدعم المادّيّ والمعنويّ لكلِّ مشروع يهدف إلى جعل اللّغات الأجنبيّة لغاتٍ رائدة لكل علم مقدمة في كل فن، بل وأصبحت نظرات الازدراء والاستهزاء توجه لكل من ينطق بالعربية دون أن يمزجها ببعض المفردات الأجنبية إنجليزية كانت أو فرنسية لا فرق في ذلك بين كونك في بلد عربي أو أجنبي!! [1]

ولا تخفى علينا الأخطار المحدقة باللّغة العربيّة، لا أقول في البلاد غير الناطقة باللغة العربية فحسب وإنما في بلاد العربية ومهد رسالتها. كما أن تلك الأخطار إنما تزداد هجماتها شراسة وضراوة على اللغة العربية لأن العربية لغة عالمية شُرفّت بحمل آخر رسالات السماء إلى أهل الأرض قاطبة، فهي لغة القرآن المحفوظة بحفظ الله له، ولن تفلح أية مخططات غربية كانت أو شرقية في محو اللغة العربية من الوجود، لا أقول ما دامت فينا عين تطرف، بل أقول ما دام فينا كتاب الله العظيم.

وانطلاقا من ذلك فإن هذه الورقة تهدف إلى إلقاء بصيص من الضوء على عالمية هذه اللغة العظيمة التي لا ينكر فضلها على الإنسانية إلا جاحد مجحف. ومن خلال ذلك البصيص نعرج على قبسات من تاريخ اللغة العربية وفضلها، وأسرارها وما يواجهها من تحديات وأخطار، كما تتعرض هذه الورقة أيضا للغة العربية في دور التعليم وارتباطها بالتنمية البشرية والاقتصادية وفق ما يلي

[1] ولست بذلك أناهض تعليم اللغات الأجنبية وتعلمها بل وإتقانها والتحدث بها، ولكن الذي أرفضه أن تكون هذه اللغات في المرتبة الأولي وتأتي من بعدها لغتنا العربية الجميلة.

بيانه وتوضيحه :

المقدمة .....

المحور الأول : تاريخ اللغة العربية
المحور الثاني : فضل تعلم اللغة العربية من فضل تعلم القرآن
المحور الثالث : من أسرار اللغة العربية
المحور الرابع : المخاطر التي تواجه اللغة العربية
المحور الخامس : اللغة العربية في دور التعليم
المحور السادس : اللغة العربية وارتباطها بالتنمية البشرية والاقتصادية
المحور السابع : اللغة العربية والإنسانية

المحور الأول
تاريخ اللغة العربية

كانت لغة بني الإنسان أول ما كانت لغة واحدة [2]، ثم تفرق بنو آدم في أرجاء المعمورة وأقاصيها، وأفضى ذلك إلى اختلاف لهجاتهم تبعا لاختلاف طبائع الأقاليم التي سكنوها، حيث إن لكل إقليم بيئاته ومؤثراته المختلفة عن غيره من الأقاليم.[3] بعد ذلك الانتشار، تناسل من استوطن جنوب آسيا الغربي من قبائل العرب العاربة عاد وثمود وطسم وديس وعمليق واميم وجاسم، فكان لسانهم العربية القديمة إلى أن جاء يعرب بن قحطان من ولد ارفخشد بن سام فغلب عادا على اليمن، فاعتدل لسانه من السريانية إلى العربية، ولذا يقال إنه أول من تكلم بالعربية من ولد ارفخشد بن سام ذويلسان السرياني وسمي بنو قحطان بالعرب المتعربة ونشأ عن ذلك عربية حمير. ولما انتقلت منهم إلى الحجاز جرهمُ الثانية تعلم منهم العربية إسماعيل عليه السلام.[4]

واللغة العربية كما هو مقرر معلوم هي إحدي اللغات السامية[5]، وهي لغات أهل ما بين النهرين وجزيرة العرب والشام، وأشهرها العربية والسريانية والعبرانية والفينيقية والآشورية والبابلية والحبشية[6]، والعربية أرقاها جميعا.[7] ومن تتبع تاريخ اللغة العربية عموما تثبت لديه القناعة بما ينطبق عليها من وصف الكائن الحي النامي الخاضع للتطور والتّجدّد والارتقاء العام . والبحث في تاريخ اللغة العربية يتناول ثلاثة أمور، أولها: النظر في نشأتها منذ تكونها مع ما مرّ عليها من الأحوال قبل زمن التاريخ، كتكون الأفعال والأسماء والحروف، وتولّد صيغ الاشتقاق وأساليب التعبير مما هو من شأن الفلسفة اللغوية. وثانيهما (ثانيها): النظر في ما اعترى اللغة من تأثيرات متنوعة داخلية كانت أو خارجية بعد اختلاط أصحابها بغيرهم من الأمم، حيث يتم اكتساب ألفاظ وتعبيرات جديدة مقتبسة شأنها في ذلك شأن العادات والتقاليد التي تتناقلها الأمم من جرّاء اختلاطها بعضها ببعض. أما ثالث هذه الأمور فهو النظر في ما حوته تلك اللغة من

---

[2] وأعني بها أول لغة لبني آدم قبل أن يتفرقوا وتتشعب بهم القفار.

[3] محمد بك دياب: تاريخ آداب اللغة العربية، مطبعة جريدة الإسلام، مصر، ج 1، ص 8.

[4] نفس المرجع السابق.

[5] اللغات السامية أطلقها العلماء اصطلاحا على مجموعة اللغات التي تشمل الأكادية والكنعانية والآرامية والعربية، لغات الأقوام الذين استوطنوا في القسم الغربي من آسيا وبعض النواحي المتاخمة له من أفريقيا، وأول من استعمل هذه التسمية، العالم الألماني شلوزر عام 1787م معتمدا على التوراة التي تقسم البشرية إلي ثلاث مجموعات، تنسب كل مجموعة إلى أحد أبناء نوح الثلاثة: سام، وحام، ويافث. عبد القادر، عابد، الأمم السامية، مصادر تاريخها وحضارتها، دار نهضة مصر، القاهرة، ص26. الأبراشي، محمد عطية، الآداب السامية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، 1946م، ص17 وما بعدها. عبد الرحيم، عبد الجليل، لغة القرآن الكريم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان- الأردن، الطبعة الأولى، 1981م، ص30-33. عاقل، تاريخ، ص 12.

[6] لم يبق حيا من هذه اللغات إلا العربية والحبشية والعبرانية والسريانية.

[7] جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ص35.

آداب وعلوم تختلف من عصر إلى عصر، على أنه يصعب إيجاد حد فاصل بين هذه الأقسام بعضها عن بعض.[8]

وقد مرت اللغة العربية من حيث تاريخ ألفاظها وتراكيبها بعد تكونها بأدوار تاريخية يمكن تقسيمها إلى: العصر الجاهلي، وعصر الإسلام، ونعرض لهما باقتضاب وإيجاز شديدين فيما يلي :

أولا: العصر الجاهلي

وهو زمن ما قبل الإسلام ويحلو لكثير من الباحثين تقسيمه لفترتين وهما فترة الجاهلية الأولى أو (العصر الجاهلي القديم)، فترة الجاهلية الثانية وهي التي جاءنا عنها الشعر[9]. ويرى العلامة جرحي زيدان في حديثه عن عصر الجاهلية الأولى أن العرب لم تكن ترزح في فوضى الجهل ونزعات القبلية العصبية والحروب في بادية الحجاز والشام وفي نجد وغيرها من بلاد العرب، بل كانوا أعرق الأمم مدنية وذلك لرقي لغتهم على لغات العالم في الأساليب والمعاني، إذ اللغة مرآة عقول أصحابها، ولا يمكن أن يكون ذلك نتاج قرنين من الزمان فحسب. كما أنه ليس للغة من لغات المتوحشين أن تبلغ مبلغ المتمدنين إلا بتوالي الأحقاب والدهور، فكيف الشّأن للغة (شأن لغة) تدل على سمو مدارك أصحابها وسعة تصورهم ودقة نظرهم[10].

وإذا بحثنا في لغة الحجاز وهي اللغة العربية التي وصلت إلينا خاصة من يلي الشام منهم، وخصوصا أهل مكة، وبالأخص قريش ممن كثر اختلاطهم بالأمم، إذ كانوا أهل تجارة وسفر شمالا إلى الشام والعراق ومصر، وجنوبا إلى بلاد اليمن وشرقا إلى خليج فارس وما وراءه وغربا إلى بلاد الحبشة، هذا بخلاف اجتماع أمم هذه البلاد المختلفة حول الكعبة من الهنود والفرس والأنباط واليمنية والأحباش والمصريين، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، فإذا بحثنا في لغة أهل الحجاز تلك وجدنا أنها ارتقت وبلغت أوجها بما اقتبسته من ألفاظ وما دخلها من تراكيب واشتقاقات مما لم تحظ به لغة من اللغات.[11]

وفي القرنين الأول والثاني قبل الإسلام، زاد الاقتباس بنزول الأحباش والفرس في اليمن والحجاز، واهتم أهل الحجاز بقدوم الحبشة إلى مكة فأرّخوا منه عام الفيل. كما اختلط الفرس بأهل اليمن بالمبايعة والمزاوجة والتودد، وغير ذلك.[12]

وإذا جاز لنا أن نسمي ذلك الاختلاط الناشئ عن نزول الأحباش والفرس بلاد الحجاز واليمن **"بالنهضة الحضارية الكبيرة"** أمكن القول بأن ذلك كان له تأثير كبير في اللغة العربية، إذ جُمِعت اللغة وتكاثرت ألفاظها ومشتقاتها حتى صارت صيغ أبنية الأسماء فقط بضع مئات، ثم أصبحت ألف ومائتين وعشرة أمثلة بعد ذلك بعدة قرون. وعلى وجه الإجمال فقد اقتبس العرب من لغة الفرس أكثر مما اقتبسوا

---

[8] جرجي زيدان: تاريخ اللغة العربية، مطبعة الهلال بالفجالة، مصر، 1904، ص 2. وانظر: جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية، ص 36.
[9] وتقدر بحوالي قرنين قبل الإسلام.
[10] المرجع السابق، ص25.
[11] كريم حسام الدين: العربية تطور وتاريخ، ص95. وانظر: جرجي زيدان : تاريخ اللغة العربية، مرجع سابق، ص 5.
[12] المرجع السابق نفسه.

من غيرهم. ومن تلك الألفاظ على سبيل المثال لا الحصر الديباج، والفيروزج، والخوان، والجلنار، والصندل والفالوذج.[13]

وأما اللغتان اليونانية واللاتينية فقد اقتبست منهما العربية في العصر الجاهلي على سبيل المثال لا الحصر الفردوس والقسطاس والقرسطون والبطاقة والاصطرلاب والقنطار والقسطل والبطريق والترياق والقنطرة، وألفاظ أخرى كثيرة.[14]

ومما اقتبسته اللغة العربية من الحبشية " الحواري" و" برهان" و"منبر" و"كفلين" و"مشكاة" و"هرج" وألفاظ أخرى غير ذلك. وعموما فاللغتان العربية والحبشية أختان تتشابه الألفاظ فيهما.[15]

وبالجملة فقد دخلت اللغة العربية ألفاظ كثيرة من معظم اللغات التي كانت شائعة في التاريخ القديم ممن خالط العرب كالمصريين والحيثيين والفينيقيين والكلدانيين وغيرهم مما لم يكن له ما يقوم مقامه في لسانهم.

ثانيا: العصر الإسلامي:

وهو الزمن الذي مرّ باللغة العربية عقب ظهور الإسلام مرورا بعصر تدوين العلوم الإسلامية كالحديث والتفسير وعلوم القرآن والعلوم اللغوية في العصر العباسي عصر النهضة المعرفية والحضارية الإسلامية وما أصاب الأمة الإسلامية بعد ذلك من انحطاط رزحت فيه قرونا طويلة، وانتهاءً بما نعايشه ونعاصره من بارقة أمل وبذور تقدم ومعالم نهضة إسلامية تلوح في الآفاق، أسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعا ممن يؤسس لها ويمهد الطريق لأجيال صاعدة واعدة أثبتت جدارتها ووعيها وإدراكها لحقوقها من خلال إطاحتها بأنظمة طاغية خلفت لدى الناس يقينا زائفا بدوام طغيان أنظمتها. هذه الأجيال تحتاج منا لأقصى رعاية وأكبر دعم.

وقد كان للإسلام أكبر الأثر في اللغة العربية، إذ مثل الإسلام نقطة تحول تاريخية في نمو وارتقاء اللغة العربية بفضل ما أحدثه من المعاني الجديدة، وأساليب البيان الفريدة التي أعجز القرآن بها أقحاح العرب فصاحة وبلاغة. وقد شمل ذلك التأثير العادات والعبادات والآداب والاعتقادات، فضلا عما طرأ على اللغة من اصطلاحات دينية ولغوية وفقهية وأدبية ولغوية.[16]

ومن أشهر ما حدث من تطور في اللغة العربية في العصر الإسلامي تلك المصطلحات الشرعية والفقهية والدينية التي أضافت للغة العربية معان أخرى زائدة علي تلك التي وضعت لها قبل الإسلام، فمثلا لفظ " المؤمن" كان يدل قبل الإسلام على الأمان أو الإيمان وهو التصديق، ثم تحوّل معناه في الإسلام ليدل علي المؤمن وهو غير الكافر كما أن له في الشريعة شروطا لم تكن معهودة من قبل. كذلك الألفاظ مثل

---

[13] جرجي زيدان، تاريخ اللغة العربية، مرجع سابق، ص6.
[14] المرجع السابق نفسه
[15] المرجع السابق نفسه
[16] المرجع السابق، ص 22

السجود والركوع والزكاة والحج والنكاح وما لها من شروط وضوابط شرعية لم تك في زمن الجاهلية.[17] فطال تغيّر المعاني والمفاهيم رصيدا لافتا من الألفاظ بحكم اكتسابها اصطلاحا فقهيّا أو علميّا أو ما شابههما ثم كانت مرحلة الذروة وبلغت اللغة العربية قمة ثرائها في عصر النهضة الإسلامية وتدوين العلوم، خاصة علوم اللغة كالنحو، والصرف والعروض والقافية، والخط والإملاء. أضف إلى ذلك ظهور المصطلحات والقواعد الفقهية، كالعارية والوديعة والمضاربة والمزارعة. أيضا مصطلحات علم أصول الفقه كالعام والخاص والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ، والأمر، والوجوب والندب، وغير ذلك مما أضيف لمفردات اللغة العربية ومعانيها ممّا لم يكن معروفا لأهلها قبل الإسلام.[18]

وما كل ما سبق الإشارة إليه إلا غيض من فيض، ونزر يسير مما أحدثه الإسلام من تطور ورقي ونقاء في اللغة العربية ذلك أن الإسلام دين عالمي الرسالة، نزل كتابه بلسان عربي مبين للناس كافة، ولعل صفة العالمية هذه هي أعظم ما منحه الإسلام للغة العرب، ولا يوجد دين - فيما أعلم- منح لغة قوم منيحة (منحة) عظيمة كتلك التي منحها الإسلام والقرآن للغة العرب على مرّ الدهور والأزمان.

ويمكن النظر في ما آلت إليه اللغة العربية بعد ظهور الإسلام من خلال ما وضع واستعمل من ألفاظ في الدولة الإسلامية في المجالات الإدارية والعلمية والاجتماعية، ومجال مقارنة الأديان، والنظر فيما طرأ واستعمل من ألفاظ أعجمية، وغير ذلك مما يتيسر ذكره من مجالات. ونعرض فيما يلي لهذه المجالات على سبيل الاختصار:

أولا: الألفاظ الإدارية في الدولة الإسلامية:

لما فتح المسلمون الشام والعراق ومصر وفارس، أنشؤوا دولة على أنقاض دولتي الروم والفرس، ودونوا فيها الدواوين، وسنوا القوانين ونظموا الجند، وكان لزاما عليهم استعارة ألفاظ جديدة للتعبير عما استُحدث من دواوين وما سُنّ من قوانين من لغات القوم الذين أقاموا بينهم، وبخاصة الفرس واليونان والرومان. وهذا فضلا عن بعض الألفاظ العربية التي حُوّلت معانيها حتى تؤدي المعاني التي وضعت لها.

وكان من أوائل تلك الألفاظ الإدارية التي حدثت في الدولة العربية "الخليفة" فإنها وضعت لتدل على من يقوم مقام الغير ويخلفهم دون تخصيص، ثم استعملت لمنصب الإمامة العظمى وخلافة المسلمين. أيضا لفظ "الوزارة" ولفظ "الكاتب" حيث كان الأول يدل على مطلق المعاونة، ثم تغير معناها بتغير الدول، واختلاف حال الوزير فيها. وكذا لفظ الدولة والذي كان يستعمل في معاني تقلب الزمان والعقبة في المال والفتح في الحرب، ثم أصبح يدل على الملك وأعوانه ووزرائه ورجال حكومته وذلك لم يكن معهودا من

---

[17] المرجع السابق نفسه.
[18] المرجع السابق نفسه.

قبل عند العرب. ومثل هذه الألفاظ كثير ممّا يتّصل بأنواع الأسلحة وصنوف المناصب، والعواصم والنظم، والخرائط وغيرها مما كان معروفا قبل الإسلام ولكن مدلولاته تغيرت بتغير أحوال الدولة العربية.[19]

[19] المرجع السابق نفسه.

ثانيا: الألفاظ العلمية في الدولة الإٍسلامية:

كان من أسباب النهضة المعرفية الحضارية الإسلامية في العصر العباسي الاهتمام الشديد بحركة الترجمة والنقل المعرفي لكتب العلم والفلسفة إلى اللغة العربية لتأدية ما حدث من المعاني مما لم يكن له مثيل في لسان العرب، كالاصطلاحات الطبية والكيماوية والطبيعية والرياضية وغيرها. كما أحدثت تلك النهضة العلمية تنويعا في التعبير على مستوى المفردات والتراكيب، كان منها ألفاظ علمية عربية مثل الألفاظ الدالة على الفنون الطبية وما يختص باصطلاحات كل فن كالكحالة والصيدلة والتشريح والجراحة والتوليد، وأسماء الرطوبات والأمزجة والاختلاط وأسماء الأدوية كالمسخنات والمبردات والمجففات والسعوطات والمراهم الأصلية، وأسماء الأمراض كالاختلاج، والسرطان والربو والذبحة، وأوصاف الأمراض كأنواع الحميات المزمنة والحادة وغيرها.[20]

وكذا الحال مع الألفاظ الرياضية كالحساب والهندسة والجبر، والألفاظ الفلكية كالرصد والخسوف والكسوف، وكذا الألفاظ المنطقية والفلسفية والكلامية كالقدم والحدوث والظهور والمماسة والمباينة والوجود والعدم والأجسام والأعراض والجوهر والهاجس والمريد والمراد والسالك والقطب وغير ذلك من اصطلاحات فلسفية كانت أو كلامية أو منطقية أو تصوفية.

ومن الألفاظ العلمية الأعجمية ما اقتبسه العرب من أسماء العقاقير والأمراض والأدوات والمصنوعات مما لم يكن في مقدورهم تعريبه أو لم يكن له شبيه في لسان العرب، فما كان منهم إلا أن نقلوه بلفظه. ومن ذلك أسماء العقاقير كالسقمونيا والقنطاريون والمصطكي من اللغة اليونانية، والبابونج والسرقين والزرنيخ من اللغة الفارسية، كل ذلك حتّمتهُ تلك النهضة الحضارية المعرفية في العصر العباسي.

ثالثا: الألفاظ الاجتماعية وألفاظ أهل الكتاب:

كان مما عمل على تطور اللغة العربية عامل النمو والارتقاء في الآداب الاجتماعية، ذلك أن اللغة كالشجرة العملاقة التي تزداد فروعها يوما بعد يوم. فقد اقتبس المسلمون من العادات والتقاليد الأجنبية وما يتبع ذلك من أسماء الألبسة والأطعمة والاحتفالات. لكن فقهاء اللغة كانوا بالمرصاد لكل دخيل على اللغة فصنفوا القواميس والمعاجم، فما كان في القاموس عدوه من اللغة وما لم يكن في القاموس عدوه عامّيا.[21]

بيد أن القاموس لم يحو كل ما تناقلته ألسنة البلغاء، ولا كل ما نطقت به العرب. فإذا نظرنا في كلمة "حضارة" مثلا وجدنا الأصل في معناها سكنى المدن أي ضد البداوة فلما تحضر العرب وكثر الترف في

---

[20] المرجع السابق، ص33.
21 المرجع السابق ص 34.

مدنهم صار معنى الحضارة عندهم "التفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والفرش وغيرها".[22]

كما أن هناك ألفاظاً واصطلاحات دخلت اللغة العربية عقب ترجمة التوراة والإنجيل إلى اللسان العربي إذ كانت لغة النصارى قبل الإسلام هي السريانية واليونانية والقبطية، ولغة اليهود العبرانية، فلما دخل الإسلام اندثرت هذه اللغات غير آثار قليلة منها في بعض الطقوس. ومن الألفاظ التي انتقلت من السريانية إلى العربية مزمور وقداس وناسوت وناقوس. ومن اليونانية هرطقة ومطران وطقس وطغمة وغيرها.

رابعا: عصر الانحطاط :

بعد انقضاء دولة العرب واستيلاء السلاطين والأمراء من الفرس والديلم والترك والأكراد على الملك في مصر والشام والعراق وغيرها. وفي هذا العصر ساد السجع المذموم والتفخيم المشؤوم، واستُعمل الموحش من الألفاظ ودخلت ألفاظ أخرى ناتجة عن التفخيم، كالجناب والحضرة والمقام. وألفاظ أخرى دخيلة على اللغة كالسنجقدار والبندقدار والبشمقدار والمهمندار وخزندار وغيرها كالجاويش والباشكاتب والآغا، والمحاسبجي، والأجزخانجي، والعربخانة وألفاظ أخرى.

وهكذا يضيف كل عصر ما جد واستحدث فيه من مفردات وتراكيب إلى لغتنا الجميلة بالقدر الذي يعكس مدى التقدم أو الانحطاط الذي يتميز به ذلك العصر، ويؤكد في الوقت ذاته على أن اللغة العربية تتطور وتنمو نمو الكائن الحي، حيث تندثر ألفاظ وتحيا ألفاظ أخرى. ومن هنا يجدر التأكيد على حتمية الحفاظ على سلامة اللغة واللسان العربي من كل دخيل ورعاية بلاغتها وفصاحتها والأخذ والاقتباس مما يصعب إيجاده من ألفاظ تتجدد بتجدد العصر بقدر الحاجة.

وبات من نافلة القول إن الحديث عن تاريخ اللغة العربية وألفاظها وتراكيبها على وجه التفصيل إنما هو أمر يحتاج من علماء اللغة وأئمتها إلى تصنيف المجلدات الضخمة والموسوعات الكبرى التي ما برحت أمتنا تصبو إليها.

---

[22] المرجع السابق نفسه.

المحور الثاني

فضل تعلم اللغة العربية من فضل تعلم القرآن الكريم

إن أعظم فضل وأكبر شرف وقدر هو حمل اللغة العربية لألفاظ ومعاني وحروف أعظم الكتب السماوية المنزلة، القرآن الكريم، الذي نزل بلسان عربي مبين ليبشر المؤمنين وينذر الكافرين من الإنس والجن أجمعين.

ومن هنا حاز تعلُّم لسان العرب قصب السبق بين اللغات لحمله معاني وحروف وألفاظ كتاب رب الأرباب، الذي لولاه لاندرست كما اندرس غيرها من اللغات، قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ﴾[23]، وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾[24]، فمن تعلم العربية استقام لسانه وحسن بيانه، قال الله جل شأنه: ﴿ **قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾[25]. فمن تعلم العربية حسن عنده فصل الخطاب، وارتقت مداركه العلمية والعقلية، فقد امتدح الله القرآن العظيم بقوله ﴿ **كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾[26]، وبقوله ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾[27].

و"من أحب الله تعالى، أحب رسوله محمداً، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه، واعتقد أن محمداً خير الرسل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها

---

[23] الشعراء192–195.
[24] يوسف:2
[25] الزمر: 28
[26] فصلت: 3
[27] الزخرف:3

ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان، لكفى بها فضلاً يحسن أثره، ويطيب في الدارين ثمره"[28].

وما أطيب كلام الثعالبي هذا، فكأنه يشير من طرف خفي إلى قدسية اللغة العربية وخلودها الذي ضمنه الله تعالى لها ما دامت السماوات والأرض، بل وفي الدار الآخرة أيضا، إذ هي لغة أهل الجنة، فحِفْظها من حفظ القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [29]، فبحفظ الله تعالى كتابه حفظت اللغة العربية، فهي باقية ببقائه إلى يوم الدين، ولولا القرآن الكريم لاندثر لسان العرب ولانزوى وقلّ من يتكلمون به، ولانهارت أصوله، شأنه في ذلك شأن لغات الدنيا، ماذا كانت وكيف أصبحت. ويبدو هذا الأمر واضحاً لمن تتبع اللغات وما تعرضت له من انقسام وانشطار واندثار بعد أن كانت لغات عالمية محكية، وليست اللغة اللاتينية عنا ببعيدة، فقد كانت لغة حضارة وسطوة وقوة فبقيت أثراً بعد عين[30].

ولا ريب أن من أهم ما يتميز به اللسان العربي ومن أعظم ما تناله أمة الإسلام إذا ما حرصت على تعليم أبنائها اللغة العربية – وأعني بها لغة القرآن – أن اللسان العربي لسان نهضة شاملة، وهذا من أعظم خصائص هذه اللغة ومميزاتها، إذ لكل بلد عربي لهجته الخاصة به والتي قد لا يفهمها غير أهله في بلد عربي آخر، لكن ما إن يتحدث المسلم باللغة العربية الفصحى، حتى يفهمها كل عربي يسمعها، فهي أعظم قاسم مشترك بين كل الدول العربية بل والإسلامية، ولن تكون لأمة الإسلام مكانة بين العالمين، ولن تقوم لها قائمة ما لم توقن مجتمعة بأهمية تعلم وتعليم اللغة العربية، لغة القرآن، لأبناء المسلمين كافة. فالأمم ترقى وتنهض وتتقدم بلغاتها لا بلغات دخيلة عليها أجنبية عنها.

وهذا هو الأمل الذي ينشده عباقرة الأمة الإسلامية ويدعو إليه علماؤها عبر الاهتمام بتعلم وتعليم لغة القرآن الكريم، الذي " لو فرضت أنه نزل كما نزل غيره من الكتب المقدسة، حكماً وأحكاماً، وأمراً ونهياً، ووعداً ووعيداً، ولم يتحر هذا الأسلوب الذي جاء به، فلم يعن الناس بلفظه ولم ينظروا إليه قولاً فصلاً، وبياناً شافياً، وبلاغة معجزة، لكان من الممكن أن تزول هذه اللغة بعد أن يضعف العنصر الذي يتعصب لها على أنها لغة قومية، ومن ذلك تضعف هي وتتراجع حتى تعود لغة أثرية. وفي اللغة العبرية ما يؤكد هذا، فإنها –وهي لغة كتاب مقدس – صارت إلى ذمة التاريخ، ولو أن التوراة جاءت كما جاء القرآن فتحدث اليهود على النحو القرآني لاحتفظوا بلغتهم لأن في ذلك احتفاظاً بمعجزة نبيهم، فكان ممكناً أن نرى لغة موسى عليه السلام"[31].

---

[28] فقه اللغة وسرّ العربية الثعالبي، ط. القاهرة، 1938م، ص1

[29] الحجر:9

[30] غنيم، كارم السيد، اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة، مكتبة الساعي، الرياض، 1990م، ص40.

31 أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، ط. دار المعارف، مصر، 1969، ص90.

ولعل العلامة ابن تيمية رحمه الله من أوائل من أحرزوا قصب السبق في التأكيد على أن اللغة العربية ليست فقط أداة للفكر، بل هي جزء منه ووسيلة للتميز والحفاظ على الذاتية والهوية المستقلة غير المحكومة بهويات أجنبية دخيلة عليها إذ يقول: "(إنَّ الله أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغًا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به؛ لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلاَّ بضبط هذا اللسان، وصارت معرفته من الدين، وصار اعتياد التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين، وأقرب إلى مشابهتهم للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار في جميع أمورهم، واللسان تقارنه أمور أخرى: من العلوم، والأخلاق، فإنَّ العادات لها تأثير عظيم فيما يحبه الله، وفيما يكرهه، فلهذا جاءت الشريعة بلزوم عادات السابقين في أقوالهم وأعمالهم، وكراهة الخروج عنها إلى غيرها من غير حاجة)[32].

كما بين أن اللغة شعار الأمة الإسلامية ذو الأثر الأكبر في العقل والدين والخلق، فقال: (اعلم أنّ اعتياد اللغة: يؤثر في العقل والخلق والدين، تأثيرًا قويًّا بينًا، ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأُمَّة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق)[33].

كما قال أيضا: (فإنّ اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميّزون) [34].

وقال: "وما زال السلف يكرهون تغييرَ شعائرِ العربِ حتى في المعاملات وهو التكلّم بغير العربية إلاّ لحاجة، كما نصّ على ذلك مالك والشافعي وأحمد، بل قال مالك: مَنْ تكلّم في مسجدنا بغير العربية أُخرِجَ منه. مع أن سائر الألسن يجوز النطق بها لأصحابها، ولكن سوغوها للحاجة، وكرهوها لغير الحاجة، ولحفظ شعائر الإسلام"[35].

وعلى ذات الدرب سار تلميذه العلامة ابن القيم حيث يقول رحمه الله: "وإنّما يعرف فضل القرآن مَنْ عرف كلام العرب، فعرف علم اللغة وعلم العربية، وعلم البيان، ونظر في أشعار العرب وخطبها ومقالاتها في مواطن افتخارها، ورسائلها..." [36].

ومن أنفس ما قاله مصطفى صادق الرافعي رحمه الله: "ما ذلّت لغة شعبٍ إلاّ ذلّ، ولا انحطّت إلاّ كان أمره في ذهابٍ وإدبارٍ، ومن هذا يفرض الأجنبيّ المستعمر لغته فرضاً على الأمّة المستعمَرة، ويركبهم بها، ويُشعرهم عظمته فيها، ويستلحِقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثةً في عملٍ واحدٍ: أمّا الأول

32 اقتضاء الصراط المستقيم..: ص 162، المرجع السابق نفسه.
33 المرجع السابق نفسه: ص 207.
34 اقتضاء الصراط المستقيم ص: 203
35 ابن تيمية: الفتاوى ج32، ص 255.
36 ابن القيم :الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، مطبعة السعادة، مصر، ط1 1327ه،ص: 7.

فحَبْس لغتهم في لغته سجناً مؤبّداً، وأمّا الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محواً ونسياناً، وأمّا الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرُهم من بعدها لأمره تَبَعٌ"[37].

(((وفي مقال هو من أروع ما جاء في العصر الحديث عن اللغة العربية وفضلها يقول د. حمد بن ناصر الدخيِّل : " يكاد يجمع دارسو اللغة العربية وعلماؤها من العرب والمستشرقين على أن اللغة العربية تأتي في مقدمة المجموعة اللغوية العالمية في ثراء الألفاظ والمفردات، وتعدد الصيغ والدلالات، وغزارة المصطلحات العلمية والأشكال التعبيرية، والقدرة على التجدد والنماء، والوفاء بمتطلبات العلم والحضارة والاختراع والمدنية؛ لما تحمله من خصائص ومميزات ذاتية لا توجد في غيرها من اللغات الأخرى تؤهلها لذلك.

وإنَّ لغة استطاعت أن تستوعب تراث العرب والمسلمين على اختلاف ألوانه وفنونه ومضامينه، وتصبح لغة حضارة ومدنية وعلم وفن لمدى يقرب من ألف وست مائة سنة _ لقادرة على أن تستوعب معطيات الحياة والحضارة في الوقت الراهن، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإذا كانت العربية قد وفَتْ بالتزاماتها كاملة، وأدت وظيفتها على خير ما يرام خلال هذه القرون الكثيرة دون أن يظهر عليها ضعف أو وهن أو نكوص _ فإن هناك سؤالاً يلح في طرح نفسه على ساحة علماء اللغة المعاصرين، وهو عن مدى قدرة استيعاب المعجمات والقواميس لألفاظ العربية وفرائدها وشواردها، ومصطلحاتها العلمية والفنية، منذ أن ألف الخليل بن أحمد الفراهيدي أول معجم في العربية إلى وقتنا الحالي.

وقبل الإجابة عن هذا السؤال أحب أن أذكر أن الإرهاصاتِ الأولى لإنشاء أول معجم لغوي للغة العربية كانت تتمثل في تفسير بعض الكلمات والمفردات الغريبة التي ترد في النصوص الأدبية من جاهلية وإسلام، ثم كثرت المواد المشروحة مما اضطر القائمين على ذلك إلى حصرها وتصنيفها من جديد، فكانت نواة للمعاجم التي ما لبثت أن تطورت إلى النحو الذي وصل إلينا.

ويمكن لنا أن نلخص وجوه القصور في النقاط التالية:

1. اقتصر القائمون على إعداد المعجم العربي على لغة الشعر في العصر الجاهلي والإسلامي والأموي، وأهملوا عن قصد لغة النثر، وكتابات المتأخرين، وأشعارهم؛ فوقف المعجم العربي عند لغة العرب الذين يُسْتَشْهَدُ بكلامهم، ولم يحاول أن يساير تطور اللغة وتجددها في العصور العباسية وما بعدها.
2. اعتمد مؤلفو المعاجم العربية الرائدة في رصد موادها على ما وصل إليهم من النصوص

37 الرافعي: وحي القلم، ج 3، ص 33:-34.

الشعرية، ولكن هذا النهج الذي اختطه الرواد الأوائل للمعاجم لم يلتزم به مَنْ أتى بعدهم من المعجميين، فلم يتخذوا من النصوص مادة أصلية للتأليف، بل أخذ بعضهم ينقل من بعض، ويعتمد عليه عند الشروع في تأليف معجمه. ومن يطلع على المعاجم الموجودة بين أيدينا يلاحظ أن وجوه الشبه والاتفاق في كثير من المواد والشواهد تبدو واضحة جلية.

3. لم تقم الكتابة بوظيفتها في تدوين التراث العربي إلا في القرن الثاني الهجري، أي بعد مضي فترة طويلة على نشأته، كان خلالها يُتَناقل مشافهةً من لسان إلى لسان، الأمر الذي عرَّض كثيراً من نصوصه وأخباره إلى النسيان والضياع. وليس أدل على قضية ضياع التراث من مقولة أبي عمرو بن العلاء المشهور: ما جاءكم مما قالت العرب إلا أقلَّه، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علمٌ وشعرٌ كثير.

وليس الاحتكام إلى ما جاء في تراثنا الإسلامي المعرفي في التدليل على أهمية تعلم اللغة العربية وتعليمها أمرا تفرد به علماء المسلمين المتقدمين أو المتأخرين وحدهم، بل تبعهم في ذلك جمع من المستشرقين يصعب حصر أقوالهم في مثل هذه الورقة، وكما يقولون " الحق ما شهدت به الأعداء"، فعلي سبيل المثال لا الحصر يعترف أغلب المستشرقين بأنَّ القرآن الكريم هو سبب عالميَّة اللغة العربية، فيقول كارل بروكلمان: "بلغت العربيَّة بفضل القرآن من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أيُّ لغة أُخرى من لغات الدنيا، والمسلمون جميعًا مؤمنون بأن العربية وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلاتهم"[38].

ويقول (**برنارد لويس**)**:** (وقد وجد الطلبة الإنكليز في الهند لدى دراستهم لغات مسلمي الهند ومدنيتهم، أن أبحاثهم وتنقيباتهم تحتم عليهم دراسة العربية التي هي أساس الثقافة الإسلاميَّة في أيِّ لغة من اللغات"[39].

يقول الفرنسي إرنست رينان : "اللغة العربية بدأت فجأة على غاية الكمال، وهذا أغرب ما وقع في تاريخ البشر، فليس لها طفولة ولا شيخوخة"، ويقول الألماني فريتاغ : "اللغة العربية أغنى لغات العالم"، ويقول وليم ورك : "إن للعربية ليناً ومرونةً يمكنانها من التكيف وفقاً لمقتضيات العصر"[40]

ويقول المستشرق الألماني يوهان فك: " إن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسياً لهذه الحقيقة الثابتة، وهي أنها قد قامت في جميع البلدان العربية والإسلامية رمزاً لغوياً لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية، لقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد

---

[38] نقلاً عن: محمد مصطفى بن الحاج: عالميَّة اللغة العربية: ص 274.
[39] نقلاً عن: إسماعيل أحمد عمايرة: المستشرقون ونظرتهم في نشأة الدراسات اللغويَّة: ص20.
[40] أنور الجندي :الفصحى لغة القرآن،ص: 302

بهـا زحزحـة العربيـة الفصـحى عـن مقامهـا المسـيطر، وإذا صـدقت البـوادر ولـم تخطـئ الـدلائل فسـتحتفظ العربية بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية." [41]

وانطلاقًا من هذه الحقيقة توافر فئـام مـن المستشـرقين علـى تعلـم العربيـة ودراسـتها ودراسـة علاقتهـا بالإسلام و(كل ما يتصل بها من قريب أو بعيد، فبحثوا في فقهها، وأصواتها، ولهجاتها، ونحوهـا، وصـرفها، وأصـولها، ومعاجمهـا، وأطوارهـا، وغزارتهـا، ومادتهـا، وفلسـفتها، وعلاقاتهـا باللغـات الأخـرى، وخاصـة اللغات الساميَّة، ومميزاتها وعناصرها، وتاريخها، ونقوشها، وكل ما أنتجته هذه اللغة)[42].

[41] المرجع السابق نفسه.
[42] أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق،ص 184.

المحور الثالث

من خصائص اللغة العربية وأسرارها

كرّم الله تعالى اللغة العربية وفضّلها على سائر لغات أهل الأرض، فهي لغة أهل الجنّة، وبها أنزل القرآن الكريم آخر الكتب السّماوية معجزاً في بلاغته وفصاحته، بل تحدّى الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله في الفصاحة والبيان والبلاغة، على الرغم من أنه كان في رجال العرب من اشتهر بالخطابة والبيان والإيجاز اللّغوي، مع ذلك وقفوا عاجزين أمام بلاغة القرآن الكريم ، وهذا فضلا عن أن اللغة العربية لغة التمايز والخصوصية الحضارية.

ومن الواضح الجلي أن في اللغة العربية من الأسرار والخصوصيات ما لا يوجد في غيرها من اللغات وذلك عينه هو الذي أهلّها لأن تكون لغة الحضارة، التي تنبثق من أصول وثوابت عقدية، فصارت بلا منازع لغة حضارة إنسانية تتسم بالشمولية، لأنها لم تعد الآن محصورة في حدود جغرافية ضيقة فلقد تجاوزت كل الحدود التقليدية وصادفت إقبالاً منقطع النظير من الأمم الإفريقية والآسيوية، وفي أوروبا وأمريكا على السواء"، [43]

وهذا الإقبال المنقطع النظير ما كان له أن يكون إلاّ لأسباب أهمها مجموعة السمات والأسرار والخصائص والمميزات التي انفردت وتميزت بها لغة الضاد.

ولقد كان من العلماء من ينزّل اللغة العربية منزلةً تسمو فوق منزلة لغته الأم كسيبويه، والفارابي وابن سينا، والرازي وغيرهم، ولقد كان أبو حاتم الرازي واحداً من علماء العربية المبرزين يرى أن اللغة العربية تسمو على كل لغات البشر، فهي في القمة العلياء، بينما تحتل العبرية والسريانية والفارسية مراتب أدنى فيقول: "إن أفضل اللغات الأربع - لغة العرب وهي أفصح اللغات، وأكملها، وأتمها، وأعذبها وأبينها، ولم يحرص الناس على تعلم شيء من اللغات، في دهر من الدهور، ولا في وقت من الأوقات كحرصهم

---

[43] د. أحمد طاهر حسنين، "تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: بانوراما تاريخية"، مجلة دراسات عربية وإسلامية، سلسلة أبحاث جامعية يشرف على إصدارها حامد طاهر، العدد الثاني، السنة الأولى، القاهرة، كلية دار العلوم، ص 57.

على تعلم لغة العرب، ولا رغبوا في شيء من القرون والأزمنة رغبة هذه الأمة، في لسان العرب من بين الألسنة، حتى أن جميع الأمم فيها راغبون، وعليها مقبلون، ولها بالفضل مقرّون، وبفصاحتها معترفون".[44]

ومن سمات وملامح هذا التمايز الذي انفردت به اللغة العربية: كونها وعاء الرسالة المحمدية الخاتمة، فهي الوسيلة التي حملت تعاليم الإسلام إلى ملايين البشر، وبها نزل القرآن الكريم ولقد صمدت صموداً لا يتزعزع أبداً وبقيت حية منطوقة ملء الأذهان والأعيان عبر الأزمان

كما أنها صارت لغة البلاد الإسلامية التي فتحت على أيدي المسلمين الأوائل، والبلاد التي وصلها أبناء المسلمين الأوائل كالتجار والرحالة وغيرهم ممن كانوا قدوة لأهل تلك البلاد، فأقبل أهل هذه البلدان على اللغة العربية، وصاروا يستخدمونها تحدثاً وكتابةً وتعليماً وتعلماً، لا فرق في ذلك بين عربي أو عجمي، بل إن شواهد التاريخ تؤكد لنا تفوّق أبناء العجم المسلمين على غيرهم في اللغة العربية ودليل ذلك إنتاجهم الفكري والفلسفي الذي يغطي جوانب التراث المختلفة، كان ذلك الإنتاج باللغة العربية الفصحى حيث كانت العربية هي اللغة السائدة في المشرق يتحدث بها العرب الصرحاء والعرب بالولاء. كما كانت لغة التدريس والوعظ والتذكير والإملاء وكانت بالطبع لغة الأدب والشعر والتأليف، والتصنيف، حيث دونت بها جميع العلوم الدينية واللسانية، والعلوم الدنيوية البحتة كلها، وكانت هذه العلوم تدرس في مدارس الشرق باللغة العربية لأنها لغة القرآن، أما اللغات المحلية فكانت في العصور الإسلامية الأولى يعدها أهلها لغة الوثنية، ولذلك عملوا على تعلّم وتعليم العربية وآدابها فنبغ فيها منهم علماء أعلام.[45]

إضافة الى ذلك نجد أن اللغات القومية للبلاد المفتوحة قد استخدمت كثيرا من الألفاظ والتراكيب المستمدة من اللغة العربية، ولا تزال اللغات الأوروبية تحفل بالألفاظ العربية وبنفس المعاني التي وضعت لها في اللغة العربية، وبخاصة تلك الألفاظ والكلمات المتعلقة بالعبادات والشعائر الإسلامية، وليس ذلك فقط، بل نجد هذه اللّغات اقترضت الكثير من الكلمات العربية غير المرتبطة بالعبادات ، فاللغة الملايوية مثلاً تجدها بالإضافة إلى الألفاظ الدينية المتصلة بالعبادات والشعائر والأحكام الدينية قد اقترضت ألفاظاً غير ذات ارتباطات دينية، حيث أخذت لغة القرآن زمام التّعبير في جوانب حياتية شتى ونفذت إلى كل مجالات حياة المجتمع الملايوي، فالكلمات العربية تستخدم حتى الآن في الحديث اليومي مع اختلاف يسير في نطقها والمعنى نفسه هو هو كما في العربية نذكر بعضاً من هذه الكلمات على سبيل المثال:

"أبد - Abad، أدب – Adab، أخلاق - Akhlak، دولة - Daulat، أساس - Asas، تهنئة – Tahniah، أستاذ - Ustaz، إعلان – Iklan،

---

[44] أبو حاتم الرازي، كتاب الزينة في المصطلحات الإسلامية والعربية، تحقيق د. حسين الهمداني،القاهرة، 1956، 135.

[45] نقلا عن :ابراهيم أحمد الفارسي: أبعاد حضارية وضرورات حاضرة في تعليم اللغة العربية لأبناء العالم الإسلامي، ص12.

أهلي – Ahli، أصلي - Asli، جدول – Jadual، أول – Awal، تكافل – Takaful، آخر – Akhir، تمدن – Tamadun، جنس – Jenis، ديوان – Dewan، ... إلخ".[46]

ومما انفردت به اللغة العربية من خصائص أنها:

1. لسان القرآن الكريم – كلام الله تعالى، ولسان السنة النبوية المطهرة وهي لغة التخاطب المشتركة بين ملايين المسلمين ولغة عباداتهم ومشاعرهم وشعائرهم المقدسة.

2. وهي لغة بمنأى عن التحريف والتبديل أو الاندثار، فهي محفوظة بالحفظ الإلهي للقرآن الكريم، وهي لغة حضارية متواصلة عبر الأجيال مفهومة في كل مجال تستوعب التجديد. كاملة متماسكة لا يعيبها نقصان. ومن أدق أسرارها الترادف، والاشتقاق، والتعريب والإعراب حيث تميزت به اللغة العربيّة دون سواها مما ساعدها على الحفاظ على ذاتية وتواصل اللغة العربيّة، ودعّمت مركزها ودورها كما ساعدت هذه الخاصية على القيام بوظيفة اللغة العربيّة خير قيام في التواصل بين شعوب العالم المسلمة.[47]
3. صدق ودلالة التعبير وكون اللفظ بقدر المعنى، وإفادته الإطلاق أو التقييد. وكذلك التخفيف والتشديد، والتوكيد وتقوية المعنى وتأدية اللفظ الواحد عدة معانٍ. سحر البيان والتأثير مع التلقائية النابعة من السجية. وكذا من أسرار هذه اللغة الاستعارات العجيبة، والكنايات المفيدة، والمجاز والحقيقة. وكل ذلك يرنو إلى الذوق والجمال ومدى الإحساس بهما لدى المرسل والمستقبل.
4. القدرة المنطقية على الاحتجاج والاستدلال وإقامة البرهان، فضلا عن كونها لغة التعبير عن الواحد (المفرد) والمشارك (المثنى) أو (الجمع).
5. وهي لغة المواقف كالاستفهام وأنواعه: التقريرية، التوبيخية، والاستدراك والاحترام، والاستنكار، والإخبار والاستخبار، والتعجب، والمدح، والذم ...إلخ.
6. وهي لغة الصوت الواضح الخفيف على الأذن والحرف الذي يتكامل مع الصوت، فالصوت يعبر عن الحرف ومعناه من همس وجهر ونبر وقطع وتفخيم وترقيق إذ أن "صوتيات اللسان العربي سهلة سمحة ميسورة لا تحس عند النطق باللفظ بإرهاق يلم بعضلات اللسان والفم وسائر مخارج الحروف، بل تناسب الكلمات انسياب الماء في سلاسة وسخاء. ولكل حرف صفات

---

[46] المرجع السابق نفسه.

[47] يراجع في ذلك أمهات كتب علم اللغة، وفقه اللغة، والنحو، والتصريف للوقوف على أبعاد تلك المفاهيم. نقلا عن [47] ابراهيم أحمد الفارسي: أبعاد حضارية..، مرجع سابق، ص 15.

متنوعة تجعل للكلمة العربية قيمة تعبيرية، ودلالية واسعة وثروتها في المفردات شاملة، واعية غزيرة فياضة"، كل تلك المزايا والأسرار أهلت اللسان العربي لنزول أحسن الحديث وأصدق القول وأعذب الكلام"[48].

7. " ولا مبالغة في القول إن اللغة العربية هي لغة الأعاجيب في وضعها المحكم وتنسيقها الدقيق، فمن استطاع أن يتجلى غوامضها، ويستقري دقائقها ويلمَّ بما هنالك من حكمة وفلسفة وبيان للدقائق وأسبابها المنطبقة على العقل والمنطق استيقن أن العربية قد وضعت بإلهام من المبدع الحكيم جلت قدرته فالمحدِّث عنها كالمحدِّث عن السماء وكواكبها وبروجها ونظامها الفلكي يذكر الأقل ويندُّ عنه الأكثر، أو كالمحدِّث عن البحر الجياش الدائم الجزر والمد، يقول شيئاً وتفوته أشياء"[49]

ولو عدنا إلى معاجم اللّغة الّتي تحوي في متونها أسرار بلاغة اللّغة العربية لأدركنا مدى ما وصل إليه أجدادنا العرب في إدراك الفروق الدّقيقة بين المعاني، والتّفريق بينها عن طريق المترادفات. ففي الدّلالة على الرّؤية بالعين استعملوا ألفاظاً متعدّدة قد تبدو متشابهة في معانيها العامة إلاّ أنّها تختلف في مدلولاتها الدّقيقة في التّعبير عن جانب من جوانب الإبصار بالعين، ومن هذه الألفاظ:

1. رأى: وتعني النظر بالعين أو بالعقل، ومنها المرآة وهي الآلة التي تفرق عن المَرْآةُ، بالفتح على مَفْعَلَةٍ: المَنْظَر الحسَنَ يقال: امرأَةٌ حَسَنَةُ المَرْآةِ والمَرْآى، وفلان حسنٌ في مَرْآةِ العَين أَي في النَّظَرِ، يقال: رجل حَسنُ المَرْأَى والمَرْآةِ، حسن في مَرْآةِ العين، وهي مَفْعَلة من الرؤية.
2. رمقَ الشّيْءَ رمْقاً: أي لحظه لحْظاً خفيفاً، أو أطال النّظر إليه، رمَقه يَرْمُقه رَمْقاً ورامَقَه:نظر إليه.و رمقْتُه ببصري ورامَقْتُه أَتْبَعْتَه بصَرك تتعهَّده وتنظر إليه وتَرقُبه.و رمَّقَ تَرْمِيقاً أَدامَ النظر.
3. لحظ الشّيْءَ لحْظاً: نظر إليه بمؤخّر عينه، وقيل اللّحظة النظرة من جانب الأذن، وقال الأزهري اللّحاظ مؤخّر العين ما يلي الصُّدغ، ولحظ: لَحظَه يَلْحَظُه لَحْظاً ولَحَظاناً ولَحَظَ إليه: نظره بمؤخِرِ عينِه من أَي جانبيه كان، يميناً أَو شمالاً، وهو أَشدّ التفاتاً من الشزْر؛ قال:

لَحَظْناهُمُ حتى كأَن عُيونَنا

[48] الدكتور السيد رزق الطويل، اللسان العربي والإسلام معاً في معركة المواجهة (مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي) سلسلة دعوة الحق، ع60، س (6) ربيع الأول 1407ه/ نوفمبر 1986، ص 22.
[49] الأمير أمين آل ناصر الدين، دقائق العربية، بيروت نشر مكتبة لبنان، ط3، 1986م، ص 13. انظر الفارسي، مرجع سابق، ص15.

بها لَقْوةٌ من شِدَّةِ اللَّحَظانِ

وقيل:اللحْظة النظْرة من جانب الأُذن؛ ومنه قول الشاعر:

فلمَّا تَلَتْه الخيلُ، وهو مُثابِرٌ

على الرَّكْبِ، يُخْفي نَظرةً ويُعيدُها

المُلاحَظةُ؛ عند الأَزهري: هو أَن يَنْظُر الرجل بلَحاظ عينه إِلى الشيء شَزْراً، وهو شِقُّ العين الذي يلي الصدغ.ومنها استعير اللفظ للدلالة على العبارة التي يجب أن يوليها القارئ أهمية خاصة بالنظر إليها والتدقيق فيها.

4. رمَّقَ ترميقاً: أطال وأدام النّظر إليه.
5. رنا رنوّاً: أدام النّظر إليه بسكون الطّرف.
6. حدّق تحديقاً إليه:حدّد النّظر إليه، والتّحديق شدّة النّظر بالحدقة، وحدّق النّظر في: نظر بإمعان إلى.
7. حدّج تحديجاً ببصره: يقال: حدّجه ببصره إذا أحدّ النّظر إليه .وحدَجَه ببصره وحَدَج إليه إذا رماه به. وروي عن ابن مسعود قال: حدّث القوم ما حدَجوك بأبصارهم (أي ما أحدّوا النّظر إليك) فإذا رأيتهم قد ملّوا فدعهم. حَدَجَهُ ببصره يَحْدِجُهُ حَدْجاً وحُدُوجاً، وحَدَّجَهُ: نظر إليه نظراً يرتاب به الآخرُ ويستنكره؛ وقيل: هو شدَّة النظر وحِدَّته. يقال: حَدَّجَهُ ببصره إِذا أَحَدَّ النظر إليه؛ وقيل: حَدَجَه ببصره وحَدَجَ إليه رماه به. وروي عن ابن مسعود أَنه قال:حَدِّثِ القومَ ما حَدَجُوك بأَبصارهم أَي ما أَحَدُّوا النظر إليك؛ يعني ما داموا مقبلين عليك نشيطين لسماع حديثك، يشتهون حديثك ويرمون بأَبصارهم
8. نظرَ إليه نظَراً: أبصره وتأمّله بعينه، والنّظر: البصر والبصيرة، والمَنْظَرُ والمَنْظَرَةُ: ما نظرت إليه فأَعجبك أَو ساءك، وفي التهذيب: المَنْظَرَةُ مَنْظَرُ الرجل إِذا نظرت إِليه فأَعجبك، وامرأَة حَسَنَةُ المَنْظَرِ والمَنْظَرة أَيضاً. ويقال: إِنه لذو مَنْظَرَةٍ بلا مَخْبَرَةٍ. والمَنْظَرُ: الشيء الذي يعجب الناظر إِذا نظر إِليه ويَسُرُّه، ومن أخذ النّاظور: وهو الآلة التي ينظر بها إلى الشيء البعيد، أو(النظّارة) وهي التي يستعان بها في القراءة.
9. لمَحَ لَمْحاً: أبصر بنظرٍ خفيفٍ، أو اختلس النّظر إليه، ولمح الشيء بالبصر: صوّب بصره إليه، وقرأ الفرّاء قوله تعالى ﴿ كلمحٍ بالبصر ﴾ قال: كخطفةٍ بالبصر.
10. أبصرَ الشّيْءَ: رآه ونظر إليه بعينه، وباصرته إذا أشرفت تنظر إليه من بعيد، . بصر : ابن الأَثير: في أَسماء الله تعالى البَصِيرُ، هو الذي يشاهد الأَشياء كلها ظاهرها وخافيها بغير جارحة،

والبَصَرُ عبارة في حقه عن الصفة التي ينكشف بها كمالُ نعوت المُبْصَراتِ .
قال الجوهري: باصَرْتَه إذا أَشْرَفتَ تنظر إليه من بعيد وتَبَاصَرَ القومُ: أَبْصَرَ بعضهم بعضاً.

وقال ابن الأَعرابي:أَبْصَرَ الرجلُ إذا خرج من الكفر إلى بصيرة الإيمان؛ قال:بصائرها إسلامها وإِن لم تبصر في كفرها.وقوله تعالى: ﴿ وآتينا ثمودَ الناقةَ مُبْصِرَة ﴾؛ قال الفرّاء: جعل الفعلَ لها، ومعنى مُبْصِرَة مضيئة، كما قال عزّ من قائل: ﴿ والنهارَ مُبْصِراً ﴾؛ أَي مضيئاً.
وقال أَبو إِسحق: معنى مُبْصِرَة تُبَصِّرُهم أَي تُبَيِّنُ لهم، ومن قرأَ مُبْصِرَةً فالمعنى بَيِّنَة.

11. عشا عَشْواً: ساء بصره باللّيل والنّهار، أو أبصر بالنّهار ولم يبصر باللّيل، وقيل: العَشا يكونُ سُوءَ البَصَرِ من غير عَمىً ومنه قوله تعالى: ﴿ ومَن يَعْشُ عن ذكْرِ الرَّحمن نُقَيِّضْ له شيطاناً فهو له قَرينٌ ﴾، قال الفراء: معناه من يُعْرضْ عن ذكر الرحمن، قال: ومن قرأَ: ﴿ ومَنْ يَعْشُ عن ذكر الرحمن ﴾ فمعناه مَنْ يَعْمَ عنه، وقال القُتيبي: معنى قوله: ﴿ ومَنْ يَعْشُ عن ذكر الرحمن ﴾ أَي يُظْلِمْ بَصَرُه، وخَبْطَ عَشْواء: أي لم يَتَعَمَّدْه. وفلانٌ خابطٌ خَبْطَ عَشْواء، وأَصْلُه من الناقةِ العَشْواء لأَنها لا تُبْصِر ما أَمامَها فهي تَخْبِطُ بِيَدَيْها، وذلك أَنها تَرْفَعُ رأْسَها فلا تَتَعَهَّدُ مَواضِعَ أَخْفافِها؛ قال زهير:
رأَيْتُ المَنايَا خَبْطَ عَشْواءَ، مَنْ تُصِبْ
تُمِتْهُ، ومَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

12. غمَزَه بالعين أو الجَفن أو الحاجب:أشار إليه بها، وقد فسر الغمز في بعض الأَحاديث بالإشارة كالرَّمْزِ بالعين والحاجب واليد.[50]

وبات من نافلة القول إن هذه الخصائص لا تشاركها فيها أية لغة بهذا القدر، إذ تميزت بها اللغة العربيّة دون سواها وهذا ما أكسبها المقدرة الفائقة على تشكيل وجدان وعقل المسلم العربي والعجمي على حد سواء.

وفي هذا المقصد يقول المستشرق الأمريكي رافائيل بيتي وهو الباحث الذي يجيد سبع لغات: الإنجليزية والفرنسية والألمانية والعربية والعبرية والفارسية والرّوسية، يقول في كتابه " رجال العروبة " في ص 48 :

[50] انظر هذه الألفاظ في معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب ومعجم ابن الأعرابي، وغيره من معاجم اللغة العربية لزيادة الاطلاع علي هذه المفردات.

" إنّني أشهد من خبرتي الذّاتية أنّه ليس ثمّة من بين اللّغات التي أعرفها لغة تكاد تقترب من العربيّة، سواء في طاقتها البيانيّة أو في قدرتها على أن تخترق مستويات الفهم والإدراك وأن تنفذ بشكل مباشر إلى المشاعر والأحاسيس تاركة أعمق الأثر فيها "

وهكذا نرى مدى اتساع اللغة ووفرة مفرداتها وتعدد معاني اللفظة الواحدة وبه يتأكد أنه لا يمكن بحال تقصي أسرار لغة حملت أشرف بيان وأعظم ذكر وهدي وتبيان وما الذي ذكر من نقولات من المعاجم إلا نتيفات قليلات لمعنى مفرد للفظ من الألفاظ، فلعل فيه إشارة أو لمحة من خصائص وأسرار لغة القرآن.

المحور الرابع
مخاطر وتحديات تواجه اللغة العربية

ما أكثر ما يواجه اللسان العربي من تحديات ومخاطر في جميع المجالات وبشتى الطرائق والسبل، وعلى جميع المستويات والأصعدة، لكن الخطر الأكبر والتحدي الأعظم لا يكمن في اللغة العربية ذاتها أو في قدراتها، وإنما في الإنسان العاجز المتخلف الذي ينعكس تخلفه على اللغة فيتوهم أنها سبب التخلف وأنها عاجزة عن التعبير عن معطيات العلم وإبداعاته مسوغا لنفسه الهروب من المسئولية المنوط بها، بينما نرى في الوقت ذاته لغات تعود للحياة بعد أن عفا عليها الدهر.

ومن الجدير بالذكر أن أولى موجات هذه التحديات بدأت في العلوم لما تجاوز الإسلام حدود جزيرة العرب، إذ تعرضت اللغة العربية لموجات متتابعة من المفردات والألفاظ والتراكيب الدخيلة التي دخلت في دين الإسلام بقدوم الأعاجم من الموالي من المسلمين وغيرهم حديثي العهد بالإسلام ولسانه العربي المبين.

وكان حتما لازما اختلاط عادات وتقاليد ولغات هؤلاء العجم بعادات العرب وتقاليدهم ولغتهم إثر التواصل اليومي غير المنقطع، الأمر الذي كان له أثر كبير على صفاء اللغة العربية ونقائها، وكان من علماء المسلمين وحكامهم وقتئذ من فطن إلى ذلك فأخذوا يعملون على وضع الوسائل والتدابير الوقائية للحفاظ على سلامة العربية وصيانتها من خطر كل دخيل . وكان البدء بهذا العمل العظيم في عهد خليفة المسلمين علي رضي الله عنه الذي أمر "أبا الأسود الدؤلي" بوضع القواعد الضابطة للغة العربية والحافظة لها. (وذلك على أصح الروايات طبعا)[51]

وإذا انتقلنا إلى القرن العشرين، رأينا حملات التغريب التي عاثت في بلاد الإسلام فسادا وتخفت في ثياب المطالبة بتجديد اللغة العربية وتطويرها بشكل يتناسب مع متطلبات الحياة المعاصرة ويتوافق مع مظاهر تطورها وتجددها ناظرين إلى اللغة العربية على أنها عاجزة عن تقديم المحتوى المناسب المواكب لمتطلبات العصر، ولعمري إن هدفهم الخبيث يرمي من وراء ذلك إلى تغيير قواعد اللغة ثم القضاء عليها، والبقية تأتي باستئصال جذور الأمة ومحق وجودها [52]. وقد زعموا أن الجيل الناشئ اليوم يجد صعوبات

---

54 الفصحى في مواجهة التحديات / ص: 20.

[52] الفصحى في مواجهة التحديات/ ص: 26.

شديدة في تفهم قواعد اللغة العربية مما يجعله ينصرف عنها . والحق الصراح أن العلة ليست في اللغة ولا في الجيل الناشئ، وإنما الأزمة تتمثل في عدم وضع منهجٍ تفسيري لهذه القواعد وصياغتها بأسلوب يتماشى ويتناسب مع مستوى تفهم الجيل الحاضر [53].

ثم كانت الدعوة إلى التخلي عن الحرف العربي واستبداله بالحرف اللاتيني، بتعلّة التعقيدات التي تعيب الحرف العربي، وما لنظيره اللاتيني من سهولة مقابلة لذلك، فهل نسي أولئك المفترون المميزات التي يندر أن تجتمع لحرف من الحروف مثلما اجتمعت للحرف العربي.

وانطلاقا مما ذكر، تولدت مخاطر وتحديات مثلت عقبات كؤود أمام جُلّ حركات الإصلاح التي نادت ولا زالت تنادي بتقديم اللغة العربية في كل مجال من مجالات الحياة اقتصاديا كان أو سياسيا أو رياضيا. إننا في أمس الحاجة إلي تفعيل استخدام اللغة العربية في مؤسساتنا التعليمية مدرسية كانت أو جامعية، محلية أو عالمية. ويمكن إجمالا إبراز المخاطر والتحديات التي تواجه اللسان العربي في النقاط التالية:

- تقديم اللغات الأجنبية على اللغة العربية في كل المجالات، وذلك نتيجة **للبعد النفسي على مستوى نفور الناطقين بالعربية من لغتهم واستثقالهم لاستخدامها. ربما كان ذلك بسبب الهزيمة الحضارية تجاه الغالب، وفق المقاربة الخلدونية التي تقول بأن "المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب"، وقد صدقت توقعات عبد الرحمن ابن خلدون في الأندلس بعد وفاته، حينما ذكر أن تقليد الغالب من علامات الاستيلاء، وهو ما تم فعلا بعد ذلك[54]..**
- الهزيمة النفسية التي تسيطر على وجدان الإنسان العربي في هذا العصر، والإعجاب الآسر بصنائع الحضارة الغربية وتقليد كل ما هو غربي وأجنبي.
- صيحات التغريب المنادية بتعليم اللغات الأجنبية للأطفال منذ نعومة أظفارهم زاعمين بهتانا أن إتقان اللغات الأجنبية إنما يتم في هذه المرحلة المبكرة، حتى إن بعض المدارس أخذت تعلم بعض المواد العلمية للأطفال باللغة الأجنبية، على أساس أن يتعرف الطالب عليها منذ نعومة أظفاره

---

[53] الفصحى في مواجهة التحديات/ ص: 28.

54 عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب المقدمة، **الفصل الثالث والعشرون في أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، ونصه " والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه أولما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب فإذا غالطت بذلك واتصل لها اعتقاداً فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتداء أو لما تراه والله أعلم من أن غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة بأس لم إنما هو بما انتحلته من العوائد والمذاهب تغالط أيضاً بذلك عن الغلب وهذا راجع للأول ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها بل وفي سائر أحواله وانظر ذلك في الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائماً وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم وانظر إلى كل قطر من الأقطار كيف يغلب على أهله زي الحامية وجند السلطان في الأكثر لأنهم الغالبون لهم حتى أنه إذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها فيسري إليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير كما هو في الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالقة فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدان والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء والأمر لله. وتأمل في هذا سر قولهم العامة على دين الملك فإنه من بابه إذ الملك غالب لمن تحت يده والرعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الأبناء بآبائهم والمتعلمين بمعلميهم والله العليم الحكيم وبه سبحانه وتعالى التوفيق".**

لتسهل عليه دراستها في المراحل المتقدمة [55]، إذ أن التعليم بغير اللغة العربية يضر باللغة نفسها فإذا بينها وبين العلم والتطور بون شاسع وأمد بعيد. عند ذلك ينظر إليها أبناؤها على أنّها جامدة وصعبة القياد، فيتهمونها بالقصور والعقم، ويزداد استبعادهم لها، وهذا ما يتمناه الأعداء لنا وللغتنا، [56].

- دعوات تشويه الوجه المشرق للغة العربية، التي كانت أيام قوة أبنائها وعزتهم عبر قرون ممتدة، لغة حضارة تمكَّنت من تجسيد الفكر، والوجدان الإنساني في أسمى صورة، وأدق تعبير، وهم بدعوتهم التي يلبسونها أثواباً براقة خادعة، يهدفون إلى دفع أبناء هذه الأمة إلى العزوف عن لغتهم الغنية، التي وسموها بالصعوبة والتعقيد، واللجوء إلى اللهجات العامية الفقيرة .
- الدعوة إلي إحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي وقطع الصلة بالميراث الثقافي وبالتالي زوال فنون الخط العربي وزخارفه التي تمثل الفن التجريدي للحضارة الإسلامية.
- كتابة القرآن بالحروف اللاتينية. ويبدو أن الفتوى بتحريم فعل ذلك لم تجد لها آذانا صاغية لدى كثير من الناس في وقتنا الحاضر فكثير من المحطات الفضائية، والمواقع الالكترونية قد قامت بكتابة القرآن الكريم بالأحرف اللاتينية وغيرها من الحروف.
- المخططات الخبيثة التي ما برحت تدعو إلى العامية من أبناء أمتنا، وبعض الغرباء عنها، والحاقدين عليها، ولا يخفي ما في ذلك من خطر محدق يرنو إلى تمزيق وحدة هذه الأمة الواحدة، وشقُّ صفها، وتفتيت الروابط التي تجمع بين أبْنائها في أهمَّ آصرةٍ بينهم، وهي اللغة الواحدة.
- غياب الوعي لدى أفراد الأمة في التمسك باللغة العربية في شتى مناحي الحياة، إذ كثر استخدامهم للألفاظ الأجنبية في الدعاية لشركاتهم ومؤسساتهم، بل وتسميتها بأسماء أجنبية كما تفعل شركات الدعاية والإعلان ومؤسساتها، التي لا يلتزم أصحابها اللغة الفصيحة أو حتى تراكيبها أو أساليبها اللغوية في إعلاناتهم.
- الاستغلال السيئ للموارد والثروات العربية والإسلامية، إذ المقرر أن أصحاب المال والثروات منوط بهم اختيار المنتج الذي يبغونه، فما لنا نشتري بأموالنا ما يريده الآخرون " الغرب " لنا. وهذا واضح في الإنفاق على المقررات الدراسية مثلا في بلاد المسلمين، إذ ندفع الأموال الطائلة من أجل جلب مقررات بثقافة مخالفة لثقافة أبنائنا ، فأنى يكون التقدم وكيف نرجو الثمرة!!!
- **اتساع الفجوة الرقمية العالمية بين اللغات المهيمنة واللغة العربية ولغات العالم النامي بشكل عام. إن الفجوة الرقمية تتسع يوما بعد يوم، بسبب التطور الهائل الذي تشهده**

---

[55] الشربجي، أثر...، مرجع سابق، ص9.
[56] اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي/ ص: 20

العلوم والمعارف والتقنيات، وضعف قدرة اللغات التي لا تكتب بها العلوم ولا يتم تأليف الإبداعات بها على المواكبة. ولقد قدّرت منظمة اليونسكو في تقاريرها عدد المصطلحات الجديدة التي تظهر يوميا في العالم المتقدم بحوالي 50 مصطلحا يوميا، أي حوالي 20000 مفردة جديدة سنويا[57]... وتنتشر المفردات الجديدة عبر الشبكات المعلوماتية وتشهد الأسواق منتجات وأجهزة جديدة بلغات أجنبية، فهل تواكب العربية في زماننا هذه السرعة الهائلة أو حتى سرعة أقل منها بكثير؟ هل تمّ تأسيس المجامع اللغوية العربية ومراكز الترجمة لكي تهضم هذا الكمّ الوفير من الكلمات الجديدة في ظرف وجيز للغاية؟ هل أن القائمين على مختلف المؤسسات المعنية تسمح أعمارهم أو خبراتهم بالتجاوب السريع مع هذه التحديات الرقمية الهائلة؟ الجواب بالنفي قطعا !.

من هنا، لا بد من تناول هذا التحدي المتعلق بالتخلف الرقمي، خاصة في عالم البحوث العلمية، والعمل الدؤوب على دمج اللغة العربية في الدورة الاقتصادية والمالية والعلمية والبحثية، من أجل أن تكون لغة الانجاز التقني وليس مجرد لغة استهلاك وترجمة المصطلحات، التي تنشأ اليوم في بئيات لغوية غربية وآسيوية مغايرة.

- **تشويه كبير للغة العربية في عالم الشبكة العالمية للمعلومات، ذلك أن شباب العرب طغت على استخداماهم اللغة المختزلة، وظاهرة كتابة العربية بأحرف لاتينية[58]، لسبب**

---

[57] علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، د. ممدوح محمد خسارة، دمشق، دار الفكر 2008، ص 16.

[58] بشير العبيدي، اللغة العربية في عصر الفيسبوك "الضعف والهوان اللغوي كما يظهر في الفايسبوك والمواقع الاجتماعية عامة، أو ما أطلق عليه الرئيس التونسي محمد المرزوقي "الاعتداء بالفاحشة" على اللغة العربية، يعكس حقيقة مرة مفادها: فشل مرعب للنظام التعليمي العربي في كل مكان في التأسيس للنهوض باللغة العربية القياسية التي هضمت سابقا كل التجارب الحضارية العربية الإسلامية، انفصام النّخب وضعف همهما وعجزها عن التواصل مع شعوبها بلغة مشتركة، انهيار تجارب الثنائية اللغوية التي أفقدتنا لغتنا ولم تملّكنا لغة غيرنا فبقينا لا من هؤلاء ولا من هؤلاء، آثار مدمّرة للقاعدة الخلدونية الخالدة التي تقول: "المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب"، تعبير عن الفساد الثقافي الذي طال الشباب في عصر الفساد العربي المعمم السياسي منه والفكري والمالي والأخلاقي، ضعف الأداء وغلبة التزمت لمجامع اللغة العربية وبطء تجاوبها مع التغيرات الجوهرية التي تعصف بعالم الإعلام والمعلومات في أوقات قياسية، غياب لأيّة استراتيجيّة علميّة وتهميش للغة العربية على مستوى تعريب الأجهزة والمنتجات والتقانات الرقائقية التي هجمت فجأة على البيوت والجيوب مما جعل الشاب العربي يستلقي اليوم على فراشه، ويستلقي العالم بجانبه فيغازله عبر هاتفه المحمول الذي هو أعجمي اللسان والأزرار والتطبيقات في غالب الأمر ".. المجلة الرقمية للمرصد الأوروبي لتعليم اللغة العربية، باريس، فرنسا، العدد 42/ شهر 11/ 2011.

ولغير سبب، مما سبب قطيعة في التواصل بين الشباب في حالات كثيرة. ويكفي الاطلاع على فحوى المبادلات في الشبكات الاجتماعية مثل الفيسبوك وتويتر وغيرها لكي نكتشف هول الفاجعة التي تهدد اللغة العربية إن لم يتم تحسيس الشباب حول مخاطر كتابة اللهجات المحلية بدلا من العربية، فضلا عن كتابة تلك اللخجات بلغات لاتينية وترميز مستحدث لا يفهمه إلا من تعود وتمرن على استخدامه.

وإننا إذا ابتغينا العلاج الناجع لهذه التحديات، فإنه يجدر النظر أولا وآخرا في قطاعي الإعلام والتعليم وهيئاتهما ومؤسساتهما، وإلقاء الضوء والتوعية بضرورة الاهتمام باللغة العربية في المناهج الدراسية العربية، وعدم تدريس اللغات الأجنبية في المراحل الدراسية الأولى، وتعريب العلوم ليدرسها الطلاب بلغتهم القومية.

والحقيقة المؤلمة هي أن كل مؤسساتنا التعليمية لن تخرج لنا الجيل المنشود، جيل النصر والحضارة إلا عندما يدرس أولادنا كل العلوم في المجالات المختلفة بلغتنا ولساننا العربي فقط. ثم تأتي دراسة اللغات الأجنبية منفردة في المرتبة الثانية بعد ذلك وتنمية مستويات أبنائنا في تعلمها والنطق بها، وهذا ما ستلقي هذه الورقة الضوء عليه في المحور التالي بإذن الله.

المحور الخامس

اللغة العربية في دور التعليم

لقد أصبح التعليم حلبة صراع بين الدول المتقدمة لتحقيق التفوق، حيث أن أزمة التعليم التي يُعانيها العالم العربي في ظل ثورة المعلومات التي تجتاح العالم تفرض التحرك بسرعة وفعالية للحاق بركب هذه الثورة، ومَن يفقد مكانته في هذا السباق العلمي والتكنولوجي فمن المؤكد أنه سيفقد إرادته في أقرب فرصة؛ واللغة العربية هي رمز الهوية والاستقلال في عالم تتزايد فيه الضغوط ومحاولات طمس الثقافة الوطنية للعالمين العربي والإسلامي، وهي التي تربط بالتاريخ العربي والإسلامي، ولن يتحقق للعالم العربي نهضة تعليمية شاملة دون الاعتزاز بلغتنا القومية؛ إذ ليست هناك دولة حققت سيادة واستقلالاً وإرادة دون لغتها القومية.

إن النهضة اللغوية المنشودة للسان العرب يجب أن تبدأ من المدرسة، ومع المراحل الأولى من حياة الطفل، حيث يتم تلقينه اللغة القومية سليمة من الشوائب، ومن هنا يمكن أن ندرك الدور الكبير الذي يجب على الدول العربية أن تقوم به في دور تعليمها لاستئصال هذه الآفة التي تنهش جسد اللغة العربية.

ولذلك فإن ثمة جملة من المطالب الرئيسة ينبغي العمل الجاد على تحقيقها وتفعيلها، ويمكن إجمالها في النقاط التالية:

- **العناية الفائقة بموضوع اللغة والتفكير، وما في حكم ذلك من صياغة الشخصية وخطورة الانفصام والتلوث اللغوي على نفسية الإنسان العربي المسلم[59]. لقد برهنت الدراسات القديمة والحديثة عبر اكتشافات كثيرة ومثيرة عن علاقة عضوية بين اللغة والتفكير، وكيف أن اختلال نظام اللغة أو فساده يؤدي إلى فقدان القدرة على التفكير السليم ومن مظاهره العجز عن الاهتداء إلى المفردات**

[59] يقول د. محمد جمال طحان " اللغة هي نحن ، وهي أداة فكرنا ، تتماهى مع وجودنا الذي يتماهى معها" ، افتتاحية المجلة الرقمية للمرصد الأوروبي لتعليم اللغة العربية، العدد رقم 46/ شهر 2012/02

التي تعبر عن الحاجات الإنسانية البسيطة والإبداعية. والخطر هنا، يتمثل في أن الكثير من أبناء العرب اليوم لم تعد لهم لغة يفكرون بها، ولعل العزوف الكبير عن القراءة باللغة العربية يجد هنا بعضا من أسبابه الكثيرة.

- إعادة دراسة وتقييم الكتب المدرسية وأهداف تعليم اللغة العربية، وأوضاع معلمي اللغة العربية انطلاقا من أن تدريس العربية بشكل جيد أصبح فرضًا على جميع المعنيين والمتخصصين في العالم العربي ومن ثم يتحتم إعداد مؤسسات فاعلة قادرة على تأهيل المعلمين ثقافيًّا وتربويًّا ولغويًّا بشكل يؤهله لتدريس اللغة العربية بصورة مناسبة.
- الدور المنوط بوزارات التربية في العمل على رأب الصدع الرهيب بين السياسة العامة للتعليم في العالم العربي، وما يحدث في المدارس حتى تستطيع النظم التعليمية في العالم العربي مواكبة التطور الكبير الذي يشهده العالم.
- توجيه اهتمام وزارات التربية في الدول العربية إلى وضع المناهج التربوية التي تنسجم مع هذا الهدف، وخاصة العمل على تبسيط قواعد اللغة التي يشكو الكثير من طلابنا ضعفاً عاماً فيها، وأن توجه اهتماماً خاصاً إلى تبسيط دراسة النحو والصرف في مدارسنا، وذلك من خلال الاقتصار على ما يلزم الطالب من قواعد هذه اللغة في تعامله اليومي في حياته، والابتعاد عن الاهتمام بالتقعيد على حساب لفت نظر الطالب إلى جانب فهم الصياغة والأسلوب.
- إدراج قواعد اللغة المبسطة بأسلوب جديد في ثنايا دروس الأدب أو القراءة، من خلال ما يمر معه من جوانب نحوية جديدة ضمن هذه الدروس حيث يتم الإشارة إليها والتذكير بالقاعدة المناسبة بأسلوب مبسط يتناسب مع سن الطالب، وبأسلوب شيق جذاب يشد الطالب إلى معرفة المزيد عما يتعلمه من قواعد هذه اللغة، ومحاولة الرجوع بنفسه إلى مراجعها لاستقاء المزيد منها، مما يدفع الطالب إلى التعلم بنفسه بتوجيه من مُدرّسه إلى المراجع المناسبة التي ينبغي أن تكون متوافرة في هذه المدارس، وأن يكون هناك تعاون بين الوزارات المختصة بالتعليم والثقافة لتزويد المدارس بهذه المراجع الضرورية.
- أيضا، تدريب المعلمين في مستويات التعليم المختلفة على الاهتمام باللغة العربية عن طريق إقامة دورات تدريبية لمن تلمس عندهم جانب الضعف في اللغة العربية، وعلى المعلمين التجاوب مع هذه الدورات بتقبلها نفسياً والتعامل معها على أنها ضرورة تستلزمها المرحلة

الخطيرة التي تمر بها الأمة العربية أولاً واللغة العربية ثانياً، يدفعهم إلى ذلك الواجب القومي والديني معاً.

- الاهتمام بتقنيات التعليم لجعل عملية التعليم أكثر جاذبية، وإدخال عنصر التشويق إليها، والتأكيد على مراقبة استخدام التقنيات المختلفة -وخاصة الحاسوب- في المدارس خاصة في تعليم اللغة العربية وقواعدها، والاهتمام بتدريب المدرسين على استخدامه، على أن يكون استعمال الحاسوب واحداً من شروط تعيين المدرسين.
- الاهتمام بدراسة مفردات العامية القريبة من الفصحى، أو الاهتمام بما فيها من فصيح الألفاظ وتهذيبها حتى تصبح أقرب إلى اللغة الفصيحة بحيث يؤدي ذلك إلى تضاؤل الفروق بين العامية والفصحى، مما يؤدي إلى انتشار الفصحى المبسطة المناسبة للحديث اليومي بعيداً عن الإغراق في التقعر اللفظي، وهذه مسؤولية وزارة الإعلام إضافة إلى الوزارات المختصة، بحيث يتم التوجيه إلى العاملين في حقل الإعلام سواء في وسائله المقروءة والمسموعة بالابتعاد عن اللهجات العامية أو في الحديث الإذاعي أو الدعايات أو التمثيليات الإذاعية والاهتمام بالفصحى أو الفصحى المبسطة للعمل على انتشارها بدلاً من اللهجات العامية، والسير أبعد من ذلك بلفت نظر العاملين في هذا المجال إلى أن مقياس درجة نجاحهم في عملهم سيقاس استناداً إلى مدى حرصهم على الالتزام بهذا الجانب اللغوي، ومحاسبة المقصرين بشدة.
- اهتمام الجامعات العربية بتدريس اللغة العربية في جميع كلياتها ومعاهدها، وتفعيل دورها إضافة إلى دور مجامع اللغة ليس في رفد لغتنا بالجديد من المصطلحات والأساليب والمفردات، وإنما العمل من قبل الوزارات ذات العلاقة على التأكيد على مبدأ محاسبة المقصرين والمخالفين لتوصيات المجامع، والمؤسسات صاحبة الرأي في مجال اللغة العربية، ليكون لها الدور الفاعل والفعال والمؤثر في مواجهة هذا الخطر الدّاهم.

فإذا ما تحقق ذلك على أرض الواقع تكون أمة الإسلام قد أخذت بأسباب الترقي والتقدم، وكان لزاما أن تجني ثمار الرقي الحضاري لتمضي في طريقها تضيء للعالم السبل وتهديهم طريق الرشاد.

المحور السادس

اللغة العربية وارتباطها بالتنمية البشرية والاقتصادية

إن الارتباط الوثيق بين اللغة العربية والتنمية البشرية والاقتصادية يجعلهما وجهين لعملة واحدة، إذ إنه من المستحيل أن يُتصور أن تدور عجلة التنمية الاقتصادية بدون التنمية البشرية، كما إنه مستحيل أن تؤتي التنمية البشرية ثمارها في المجتمعات العربية بلغة أخرى غير لسان العرب، فاللغة لها أهمية قصوى في الاقتصاد والعلاقات التجارية كما أنها أداة توطين للمعرفة المطلوبة لتحقيق التنمية البشرية التي نطمح إليها ذلك أن التّنمية البشريّة مبنيةٌ في المقامِ الأول على السماح للنّاس أن يعيشوا نمطَ الحياةِ الذي يرتضونه، بالخيارات التي يقررونها وعلى تزويدِهم بالأدوات المناسبة لتقرير تلك الخيارات، ما لم يحل حراما أو يحرم ذلك حلالا.

والتنمية البشريّة ما هي إلا مجموعة برامج تهدف إلى تحسين أوضاع الإنسان الاجتماعية والاقتصادية والمعرفية، وتتجه التنمية البشرية اليومَ نحو ربط التنمية باقتصاد المعرفة، وهو اقتصاد مبني على المعرفة، تزداد فيه نسبة القيمة المعرفية ازديادا كبيرا، حيث أصبحت فيه السّلع المعرفية أو سلع المعلوماتِ من السّلع الهامّة جدا، وتساعد تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات في نموّ اقتصاد المعرفة، وقد أصبحَ العالم يشهدُ ازدياداً مضطرداً لدور المعرفة والمعلومات في الاقتصاد : فالمعرفة أصبحت محرك الإنتاج والنمو الاقتصادي كما أصبح مبدأ التركيز على المعلومات والتكنولوجيا كعامل من العوامل الأساسية في الاقتصاد من الأمور المسلم بها. وبدأنا نسمع بمصطلحات تعكس هذه التوجهات مثل "مجتمع المعلومات "وثورة المعلومات" و" اقتصاد المعرفة" و"اقتصاد التعليم" وغيرها. إن الكثير من المعلومات يرمز لها عادة في وعاء اللغة، ومن هنا تبرز أهمية مسألة التعريب وخاصة التعريب في مجالات تكنولوجيا المعلومات.[60]

فالمعرفة ترتبط بالاقتصاد الرّاهن ارتباطا وثيقا لأنها تتعلق بمعرفة المعلومات المتداوَلَة في عالَم الاقتصاد، ولأنّ تطويرَ الإنتاج الاقتصادي رهين بما يُخطّط من مشاريعَ علميّة معرفيّة . أمّا اللغة فهي أداة حصولِ المعرفة الاقتصادية وتدويلِها، ودلالة اللغة على المعرفة الاقتصادية يُسند إليها وظيفةً جديدة هي

[60] د.عبد الرحمن بودرع، اللغة العربية والتنمية المعرفية، ص 5.

الوظيفة الاقتصادية، ويحقّ لنا أن نتحدّث عن الوظيفة الاقتصادية إلى جانب الوظائف الأخرى التعبيرية للغة، وهي الوظيفة التعليمية والوظيفة الإعلامية والوظيفة السياسية[61].

وتتركّز الوظيفة الاقتصادية للغة في استعمالها في المجالات الاقتصادية بكفاءة عالية، فتوظيف اللغة في المجال الاقتصادي بمردودية عالية يُعدّ شرطا من شروط تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وذلك بالنظر إلى ما تحمله اللغة من قُوى إنجازيّة وطاقات وظيفية، كوظيفة التّواصل والتبادُل، ووظيفة نقلِ المعرفة وتداوُلِها، ووظيفة التعاوُن، ووظيفة التّعلّم

يقول المستشار الألماني السابق براندت **: "إذا أردتُ أن أبيعك بضاعتي يجب أن أتحدث لغتك وإذا أردتَ أن تبيعني بضاعتك فعليك أن تتحدث بالألمانية"**[62] ويبين " لينين " صلة اللغة بتشكيل الكيان الواحد للمجتمع عن طريق إسهامها في إيجاد السوق، وتمكين الأمة من عمليات البيع والشراء والأخذ والعطاء، قائلا : " اللغة هي الأداة الأساسية للتعامل الإنساني، ووحدة اللغة وتطورها غير المحدود، هو أحد الظروف الأكثر أهمية من أجل تعامل تجاري حر بالفعل، وواسع النطاق، على المستوى الذي تتطلبه الرأسمالية الحديثة، ومن أجل التجميع الحر والعريض لكل السكان، من مختلف الطبقات . وأخيرا من أجل إقامة ارتباط وثيق بين السوق وكل مالك، كبيرا كان أو صغيرا، بائعا أو مشتريا"[63]

وفي مقال له على الإنترنت يبين د. محمد السيد أنه "في أواخر الثلاثينيات من القرن التاسع عشر الميلادي، نشبت في الولايات المتحدة الأمريكية حرب لغوية أطلق عليها "حرب المعاجم"، وفيها استعرت حدة المنافسة التجارية في مجال اللغة وأسفرت في النهاية عن تأكيد استقلال الجمهورية الفتية (أمريكا) والحفاظ على هويتها من التأثر اللامحدود ببريطانيا العظمى.

وأن المنافسة التجارية على إثر ذلك شكلت عاملا حاسما في استتباب اللغة الإنجليزية الأمريكية، ونشرها حتى كادت تطغى على اللهجات التقليدية للغة الإنجليزية. ومن هنا كان الدور الرئيس للاقتصاد في انتشار اللغة والإقبال عليها . وكم أدى التوسع في الاقتصاد لأمة من الأمم إلى تمكين لغتها في بيئات جديدة لم يكن لأهلها عهد بها، كما حدث مع العربية إبان ازدهارها في مناطق العالم المختلفة شرقا وغربا، عبر المنافذ التجارية.

كما أكد على حقيقة أن اللغة العربية نشأت وترعرعت بين أحضان التجارة وقد كان لذلك أبلغ الأثر في زيادة تراكيب اللغة العربية، وتنمية ثروتها اللفظية والدلالية فنلاحظ مثلا كثرة ألفاظ اللغة العربية الدالة على المال، فإن منها بضع وعشرين اسما لكل منها معنى من المعاني الاقتصادية المختلفة، منها :

---

[61] المرجع السابق نفسه.

[61] Multilingual Magazine article Friday , November 11, 2011 https://redesign.multilingual.com/articleDetail.php?id=1002.

[63] عمارة، محمد، " الأمة العربية وقضية الوحدة ". دار الوحدة، بيروت، 1984م، ص 75، ملاحظات انتقادية حول المسألة الاقتصادية للينين.

التلاد (المال الموروث) والركاز (المال المدفون) والضمار (المال لا يرجى) والطارف (المال المستحدث)، والتالد (المال القديم) ونحو ذلك من أسماء النقود وأنواعها من الذهب والفضة...

ويمكن أن تكون اللغة العربية شأنها شأن اللغات الأخرى من عوامل ازدهار الاقتصاد من خلال ما يسمى بالتصدير اللغوي للبرامج والتقنيات التي تعالج منظومتها. ويمكن القول: إن توجيه رأس المال نحو الاستثمار في مشاريع معالجة اللغة العربية له عائد كبير للمستثمر نفسه وللغة أيضا، وذلك للأسباب الآتية :

1- **قابلية هذه الاستثمارات للنمو، نظرا لاتساع سوق اللغة العربية في المنطقة العربية، وتزايد الطلب على برامج المعالجة اللغوية .**
2- **تفاعل الثقافة العربية والإسلامية مع ثقافات العالم المختلفة عبر شبكة الإنترنت وتنامي رغبة المستخدم العربي في إثبات ذاته من خلال لغته العالمية، وإقبال غير العرب على برامج تعلمها .**
3- **قدرة ومرونة اللغة العربية، وهي السلعة في هذا الوضع، على استيعاب التقنيات المختلفة، لتعدد خصائصها، وتفردها . مما يجعلها حقلا خصبا للدراسات التنظيرية اللغوية بصفة عامة، مما يضمن رواجا لها في حركة البيع والشراء عند الطلب، وتناميا في وسائل العرض ."64**

وحقيقة إننا في أمس الحاجة إلى تعميق الوعي لدى الطلاب والباحثين في شتى المجالات بمركزية اللغة العربية ومحوريتها في النهضة العلمية وأهميتها في إقامة مجتمع المعرفة وأهميتها في التنمية البشرية والتقدم الاقتصادي، فمن خلال اللغة يمكننا تدويل مجالات المعرفة بلساننا، كما يمكننا تحقيق حلم الدول العربية والإسلامية في وضع منظومات اقتصادية واجتماعية وسياسية ينهل منها أبناؤنا، ولن يتم ذلك إلا بحركة تعريبية شاملة لا تقف عند مجرد إحلال اللغة العربية محل اللغات الأجنبية في الإدارة والاقتصاد والتعليم، بل تتعدى تعريب التعبير إلي تعريب التفكير بأن تكون أفكارنا نابعة من خصائصنا كمجتمع عربي حتى نتخلص من اتباعنا الفكري والاقتصادي للغرب، لأن العربية مؤهلة لأن تتبوأ مكانَتَها في مضمار تعريبِ العلوم وتداولها، أكثر من غيرِها، وخاصةً أنها كانت في عهد تاريخي غير بعيد إحدى اللغات القليلة لمن أراد أن يتعلم العلوم، ووسيلةً للانفتاح على العالم[65].

---

[64] http://lesanularab.com/arabic/index.php?option=com_content&view=article =116

[65] انظر : ندوة حول تعريب العلوم في الجامعاتِ المغربيّة : مجلّة الموقف، ص:59، ع:3، محرّم 1403 / شتنبر 1987 . وانظر: عبد الرحمن بودرع: اللغة العربية والتنمية المعرفية، ص10.

وفي إطار التنمية الاجتماعية، لا يفوتنا أن نبرز الدور المحوري للنهوض بثقافة المرأة العربية وتعليمها، كشرط أساسي لبقاء اللغة واستمرارها. فالمرأة نصف المجتمع، ويتربى النصف الثاني على يديها. فمن الناحية العملية المباشرة، لا شك في أن الأم المربية والمعلمة هي التي تقضي ـ في حقيقة الأمر ـ أطول وقت ممكن مع النشء وأنه من خلال تركيز الاهتمام على هذا الصنف / النصف من المجتمع، يمكن ضمان مستقبل أفضل للغة العربية، إن شاء الله تعالى.

والواقع العربي الماثل أمام أعيننا اليوم في المشرق والمغرب، مع اختلافات بين الأقطار، يخبرنا أن تخلف ثقافة المرأة أو غيابها عن بيتها واستبدالها بالخادمة أثر سلبا في لغة الأجيال الناشئة، وجعل الفجوة كبيرة بين لغة الفصاحة والبيان وبين لغة هجينة مختلة المباني فاسدة النظام الصوتي، وهذا له أعمق الأثر على مستقبل الأجيال القادمة، وخاصة على تباعد اللهجة المستخدمة يوميا عن لغة البيان ولغة القرآن.

"ولا يتمّ استشعارُ أهمّية اللغة العربيّةِ في معادَلَة: اللغة العربية والتنمية البشرية – أيضاً – إلاّ بالتدريب الفردي والجماعي على اتّخاذ اللغة العربية الفصيحَة لغةَ التفكيرِ والتّعبير والتواصل والتّداوُل، وتوظيفها في جميع المواقف والشؤون التي لها ارتباط بالتنمية البشرية الفردية والاجتماعيّة."[66]

وقد قدّم د. بودرع تصورا منهجيا لتحقيق هذه الغاية إذ إنه يرى "أن ننتقيَ من المصادرِ، مصادرِ الأدبِ واللّغةِ والمعاجمِ وكتُب النّوازلِ الفقهيّة، ومن كتب الآداب والمواعظ والحكم والتواريخ، والنوادر والأخبار والحكايات واللطائف ورقائق الأشعار، وغيرِها، عددًا من الموادِّ والظّواهرِ ومئاتٍ من الألفاظِ والأسماءِ والأمثلةِ والنّماذجِ والرُّؤى التي تزخَرُ بها، ممّا يُتداولُ في عصرِنا أو يُجيبُ عن أسئلتِه أو بعضِ أسئلتِه، أو له بها اتّصالٌ، فيكون هذا الانتقاءُ جاريًا على جزءٍ كبيرٍ من التّراثِ الذي هو في الأصلِ إنتاج علميّ ضخمٌ كُتب له البقاءُ ؛ لِما يتضمّنه من عمقٍ في النّظرِ وجهدٍ في الإنجازِ والتّوليدِ، فلا يصحّ أن يُستغْنى عنه لمجرّدِ تبدّلِ العصرِ وأن تُسْتَعارَ نماذجُ حديثةٌ مستَنْبَتَة من بيئةٍ غريبة، وُضعت في الأصلِ لتُعالِج قضايا خاصّة بمُنتِجيها .

[66] المرجع السابق نفسه.

فالمَعاجمُ العربيّة القديمة مثلاً، تضمّ آلافًا من المفرداتِ اللّغويّة التي ما زالت تصلُح للتّداولِ اليوم، ولكنّها مهمَلة في بطونِ المعاجمِ تُعاني من **غربةٍ** شديدةٍ فُرِضت عليها، بسبب ضعفِ هِمَم البحث وقلّةِ من يتصفّحُ المعاجمَ لاستخراجِ المادّةِ اللّغويّة المعجميّة الصّالحةِ للاستعمالِ . ومن الألفاظِ ما هو مستعمَل ولكنّ دلالته أصيبت بالتّغيّر عبر تاريخِ اللّغة، وهذا يدلّ على حاجتِنا إلى « **المُنْتَقى من الألْفاظِ لِما يُتَداوَلُ من المَعْنى المُراد** »، **فالألفاظُ** دفينةُ بُطونِ المعاجمِ، و**المعاني** متداوَلةٌ اليوم ولكن بألفاظٍ متفاوتة بين الفصاحةِ والرّكّةِ والعُجمةِ وعدمِ الدّقّة ؛ فينبغي تغييرُ هذه الألفاظِ والبحثُ عن نظائرِها في المعاجم القديمة، لتنزيلِها على معاني الأشياءِ والمفاهيمِ وما إلى تلك الظّواهرِ المستعمَلة المتداولة. وبذلك نجعلُ لهذه المعاجم وظيفةً دلاليّةً ونُحدثُ لها نقلةً تاريخيّةً لنعيدَ إحياءَ ألفاظِها . ولا شكّ أنّ هذه المعاجم الضّخمةَ تشتمل على مادّة لغويّة غنيّة مستقاةٍ من الرّسائلِ اللّغويّة، التي جمعَها اللّغويّون من أفواه الرّواة ومن القبائلِ العربية الفصيحة ومن الشّعرِ العربيّ، الذي هو وعاءُ الأمّة ولسانُها المعبِّر عن أفراحِها وأتراحِها وأحوالِها وحضارتِها، أي أنّه مادّة مستقاةٌ من حضارةِ الأمّة في تاريخِها القديم، وينبغي إعادةُ تشغيلِ هذه المادّة اللّغويّة الضّخمةِ، وإعادة استعمالِها وتوظيفِها في يومِنا الذي هو امتِدادٌ لأمْسِنا قبلَ أن يكونَ ابْتِداءً لغدِنا . ويُضافُ إلى المعاجمِ مصادرُ أخرى مكمِّلةٌ لها، هي كتب الأدب واللّغة والنّقد والبلاغة، وكتبُ آدابِ الكتّابِ وصانِعي الكلامِ[67] وكُتُب إصلاح المنطق[68]، لِما تتضمّنه من مادّة ثرّة . ويُنبَّه في هذا السّياق على أنّ حملاتِ التّحقيق العلميّ التي شملت هذه المصادرَ، قد يسّرت لنا أسبابَ الرّجوعِ إليها والإفادة منها، ومهّدت السّبيلَ إليها، واختصرت طرقًا عويصةً تتعلّق بتقنيّات الكتابةِ والقراءة واستخراجِ النّصوصِ الأصليّة، ولمّا بدأت مرحلة البحث والتّحليل والدّراسة واستثمارِ النّصوصِ المحقَّقة، بدأ الدّارسون يقدّمون هذه النّصوصَ إلى القرّاء بدراستِها من زوايا منهجيّة معيَّنة، وبالتّركيز على جوانب من الظّواهرِ دونَ أخرى، وإلقاءِ الأضواءِ على أركان دون أخرى؛ فصُنّفت الكتب المحقَّقة إلى مواضيع وإشكالاتٍ وظواهر، وبُنيت دراسات كثيرة على مصادرَ غزيرةٍ فازداد اتّساع هذا التّراث، ولكنّنا لم نستثمرْه الاستثمارَ العمليَّ الذي ينفض المصادر المحقّقة والمدروسة نَفْضًا، ويُشيعُ ألفاظَها إشاعةً ونشرًا وتداولاً في الحياة اليوميّة وفي الصّحف السّيّارة... فظلّت كتب التّراث، وما تبعها من أبحاث ومصنَّفات ودراساتٍ أكاديميّة، حبيسَةَ الجامعاتِ والأكاديميّات ورفوفِ المكتبات، ولم يحصل لها أيّ أثر في الحياة لوجود حجابٍ حاجز يحولُ دون إخراج محتوياتِ المصادرِ إلى المجتمع والحياة اليوميّة، بالمناسِب من مناهجِ التّنزيلِ والإخراج .

و ما قيل في المعاجم ومصادرِ الأدب واللّغة والنّحو والنّقد والبلاغة، يقال في كتب الفقه والأصول والنّوازلِ ومصنَّفات الحديث وعلومِ القرآن الكريم؛ فإن هذه المصادرَ تتضمن من الفوائد والمعاني الجليلة ما

67 مثل [أدب الكاتب] لابن قتيبة، و[صبح الأعشى في صناعة الإنشا] للقلقشندي، وغيرهما.
68 مثل [إصلاح المنطق] لابن السّكّيت .

ينبغي أن يجد طريقَه ويتبوّأَ منزلتَه في عصرِنا، ففي ذلك تمكين لهذه العلوم من توجيه الحياة العلميّة وإشاعةِ نوعٍ من القيم الرّوحيّة والعَقَديّة والفكريّة والمادّية، التي هي قيم مألوفة في تاريخنا لا غريبة عنه، ولكنّها تسير نحو **الغُربةِ** والغَرابة والاضمحلالِ كلَّما تَقدّم الزّمان وهيمنت حضارةُ الغرب وسادت قيمُه."[69]

ولا ينكر منصف أن لغة في مثل إحكام اللغة العربية وإتقانها لجديرة بأن نضحي من أجلها بالغالي والنفيس وألا نضن بدعم الباحثين في مجالاتها، وبخاصة مجال التعريب، لا أقول بتمويل أصحاب الثروات الفردي أو الجماعي فحسب، بل بتمويل ودعم الدول الإسلامية وبعقول مفكريها وأقلام مبدعيها. ولا يخفي أن معالجة مثل هذه القضايا لا يمكن تناوله بحال من الأحوال في ورقة أو بحث أو رسالة دكتوراة، وإنما هو بصيص من الضوء على أهمية هذه اللغة وعالميتها، أسأل الله تعالى أن ينفع به البلاد والعباد.

69 المرجع السابق نفسه.

المحور السابع
اللغة العربية والإنسانية

لن تزال الإنسانية مدينةً للغة العربية بما رفدتها من علوم وحضارة ومعرفة على مر تاريخها، فمن المعلوم أن اللغة ليست محض أداة أو وسيلة تتواصل بها الشعوب والأمم، وإنما هي في بعض أوجهها معيار حضاري. وما من ثمرة أو إبداع حضاري لحضارة من الحضارات إلا وللغة فيه الحظ الأوفر. فاللغة هي المحرك الحضاري والمحرض الفكري، فضلا عن كونها مفتاح التفاهم والتعاون الإنساني.

والناظر المتمعن في آي الذكر الحكيم يقف عند تلك الرابطة الوثيقة العجيبة بين اللغة والإنسان والإنسانية في قول الله تعالي في مطلع سورة الرحمن:

 الرَّحْمنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَان * عَلَّمَهُ الْبَيَان [70]

وقد يتساءل الواحد منا عن مناسبة قوله: **عَلَّمَهُ الْبَيَان** مع الآية السابقة لها وهي قوله:

 خَلَقَ الإِنسَان ، ولا يبعد عن الأفهام أن مقصود الآيات قد يكون تنبيه الإنسان إلى أعظم المعجزات التي منّ الله عليه بها، وهي اللغة والبيان، فهما لا يفارقانه في الغالب الأعم منذ ولادته حتى مماته، كما أن كل إنتاج فكري أو حضاري قام به الإنسان مدة حياته إنما يبقي ويدوم ببقاء اللغة والبيان. ولا يخفي أن أعظم لسان وأفصح وأوضح بيان إنما هو اللسان العربي الذي يتميز بمؤهلات وخصائص وأسرار جعلته محلا لخطاب الله عز وجل لأهل الأرض.

ولا ريب أن لغتنا الجميلة على مرّ تاريخها العظيم قد أثْرَت الإنسانية وأثَّرت فيها، كما أثْرَتْها الإنسانية وأثّرت عليها. وفيما يلي نشير في لمحات مقتضبة إلى تلك العلاقة الفريدة بين اللغة العربية والإنسانية.

إن اللغة التي اختارها الإله الحكيم لتحمل أسمى المعاني والأحكام والمعتقدات للإنسانية أضحت لغة خالدة بخلود الكتاب الحكيم محفوظة بحفظ الله له. وكما مر معنا عند الحديث عن تاريخ اللغة العربية قبل

---

[70] سورة الرحمن

الإسلام وما حوته من رقي في الألفاظ والتراكيب وتميز في الأساليب والمعاني قد أفادت الإنسانية ورفدتها بإنتاج فكري وأدبي سواء كان هذا قبل الإسلام أو بعده.

ولا ريب أن إثراء اللسان العربي للإنسانية بعد الإسلام هو أمر لم يُعهد له نظير في تاريخ الإنسانية، سواء كان ذلك من حيث الخلود اللغوي والإثراء اللامتناهي زهاء أربعة عشر قرنا من الزمان، أو من حيث الإنتاج الفكري والأدبي الذي ما برح الكتاب والمفكرون والأدباء العرب يستلهمونه من كنوز التراث وكتبه.

ولا ينكر منصف أن اللغة العربية حملت ألفاظها وكلماتها مشاعل الحضارة للبشرية في وقت كان العالم الغربي يرزح تحت نير الجهل، فقد كانت حركة الترجمة من أهم وأنشط الحركات الفكرية التي وجدت في العالم الإسلامي؛ وهي إحدى حلقات العلم والمعرفة، التي شكلت روح التقدم العلمي وكونت الأساس المتين الذي ما يزال العالم ينعم بثماره؛ وقد مثل ظهور أعلام عرب أجادوا اللغات، شهود الترجمة نشاطا شكّل الدعامة للفكر الحضاري الإنساني.

إن بداية الحضارة الإسلامية كانت الترجمة والتعريب ونقل علوم حضارات العالم إلي اللسان العربي نقلة حضارية تظهر أهمية اللسان العربي في صون العلوم والمعرفة. وليس ذلك فحسب، بل تعدي ذلك إلى التأليف وإثراء المكتبات العلمية بمصنفات في شتى العلوم والمعارف في ذلك الوقت على أيدي أساطين كبار علموا الدنيا وأسّسوا للنهضة الحضارية والإنسانية التي يشهدها عالم اليوم، ومن هؤلاء الأساطين ابن سينا والرازي والفارابي وابن هيثم والبيروني، وغيرهم كثير لا يتسع المقام لذكر أسمائهم.

وجدير بنا ألا نغفل الجهد الوافر العظيم لعلماء الإسلام الكبار كالأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل، وغيرهم من أصحاب المذاهب الأخرى كابن حزم وإسحاق بن راهويه، وسفيان الثوري، والليث بن سعد أمثالهم ممن عنوا بالتراث الفقهي الإسلامي الذي أراه أعظم ما عرفت الإنسانية من أحكام انتظمت حياة الناس ونظمتها، لكن هذا التراث الفقهي وبكل أسف أهمل عن قصد وغير قصد. ولو أن علماء الغرب لم يجنحوا فقط إلى العلوم الطبيعية والإنسانية التي حفظها اللسان العربي وأضاف إليها، وأبدوا اهتماما بكنوز التراث الإسلامي والموروث الفقهي وتعمقوا في تناول ما قرره للإنسان من حقوق وما جعله عليه من واجبات لاختلفت النظرة إلى الإسلام والمسلمين.

والحقيقة المرة أنه يصعب تصديق أن الغرب عندما نشطت فيه حركة الترجمة من اللسان العربي إلى اللاتيني أهمل العلوم الفقهية الإنسانية لأنها علوم دينية تعبدية، والذي أراه أنهم أهملوا ترجمتها وذلك لما رأوه من تقرير للحريات وتنظيم للحياة في مختلف المجالات العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقانون الدولي والسلم والحرب. ومن خلال هذا المنبر الإعلامي أؤكد على أهمية تناول تراثنا

الفقهي بالدراسة وتشجيع البحث العلمي في هذا المجال خاصة، لأنه حتى الآن لم يدرس من هذا الموروث الفقهي إلا النزر اليسير، فلماذا تهمش هذه العلوم ولا تظهر، لا أقول للنور، بل أقول لتنشر النور؟

وكما أثْرَت اللغة العربية الإنسانية بما حملته من تراث فقهي ومعارف إسلامية وعلوم أخرى لحضارات سابقة، فقد أثّرت فيها الإنسانية وأثْرتها أيضا في علاقة حية متنامية، فأولت مؤسسات عديدة اهتمامها ورعايتها ودعمها اللسان العربي وأخذت على عاتقها العمل على تفعيل خطوات نهضة اللغة العربية وريادتها للغات الأرض جميعا.

فكانت الدعوة لمشاريع نهضوية تدعو إلى الاهتمام بالتعريب والترجمة، بل وأصدرت مصنفات لا يستهان بها في هذا المجال، كمجامع اللغة العربية في الدول العربية والإسلامية، ومراكز اللغات في كثير من الدول الإسلامية التي حرصت على نشر اللغة العربية الفصيحة والمعاصرة وبذلت جهدا مضنيا ومشكورا في التعريب والترجمة.

لكن المشكلة التي تعاني منها لغتنا الجميلة تكمن في مقدار العطاء المنتظر من الأمة الإسلامية تجاهها، فلا زال الاهتمام باللغة العربية همّا فرديا، بمعنى أن الغيورين من علماء الأمة وأصحاب الفضل يعملون على نهضة اللغة العربية على المستوى الفردي، حتى وإن كان ذلك في شكل مؤسسات تقيم مؤتمرات هنا وهناك، إلا أن الاهتمام الدولي الإسلامي - وأعني به الاهتمام النابع من الإيمان بقضية نهضة الأمة الإسلامية الذي لن يبدأ أبدا إلا بنهضة لسانها ولغتها- لا يبلغ مقدار اهتمامها بالقضايا الاقتصادية والعسكرية وقضايا النفط أو البنية التحتية[71] على سبيل المثال.

ولازم حتما على الدول الإسلامية التنسيق فيما بينها إزاء الجهود التي تُبذل في مجال نهضة اللغة العربية كأن ترعى دولة ما العمل على تعريب المصطلحات في مجال معرفي أو علمي ما وترعى الأخرى ذات العمل في مجال آخر، حتى لا ندور في حلقة مفرغة، وحتى يتكامل العمل فيما بين الدول الإسلامية والعربية فنخرج بالثمرة المنشودة ونأخذ بأسباب النهضة والرقي والتقدم.

[71] لا ريب أبدا أن هذه القضايا ومثيلاتها تمثل حجر الأساس لأي دولة، وليس ذكرها هنا في معرض الحث على الإهمال معاذ الله، وإنما كانت المقارنة من باب التذكير بأهمية قضية نهضة اللغة العربية.

خلاصة

عالمية اللغة العربية ليست شعارا للتباهي بين الأمم. إنها حقيقة يؤيدها التاريخ العريق وتعضدها الحضارة الماثلة وتثبتها الثقافة الواسعة وتحفظها العقيدة الراسخة.

ولئن كان وضع اللغة العربية اليوم هو دون ما يرجوه الخلَّص من أبناء الملة المحمدية، فإن عناصر النهضة متوفرة في شعوبنا، ومكونات البناء متاحة لمن أرادها، والهمم الصادقة المخلصة لا تغيب عن قُطر، ولا يخلو منها مصر.
من أجل ذلك، اجتهدنا، في ورقتنا هذه، من أجل ربط الماضي التليد بالواقع الجديد، بهدف الدفاع عن لغة عربية توحّد الناطقين والمفكرين والباحثين والمبدعين...
لقد خاطبنا الله عز وجل بلغة مضر، جدّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وارتضاها لنا لغة من دون لغات الأرض التي لا حصر لعددها، وخاطبنا بها نبينا، وبحرفها ولفظها وصوتها، كتبنا علومنا، وبثثنا همومنا، وتواصلنا بها مع شعوبنا من عرب وعجم، وبفضل الحكمة التي حواها كتاب الله أحبتنا ملل في الأرض كثيرة، وتركت لغاتها وتبنت لغتنا إكراما للغة نبي الرحمة المهداة والنعمة المسداة...
عالمية اللغة العربية ليست سوى الزاوية الأبرز لأممية حمل الأمانة في الأرض "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً" . فمتى نفهم جميعا أن ضياع اللغة هو ضياع المعنى، وضياع المعنى هو ضياع الإنسان... وضياع الإنسان ليس سوى الوجه الثاني للعدم والفناء؟

أفلا نكون اليوم حاملين لهذا اللواء، مدافعين عن مستقبل لغة الجمال والرقة والبيان، ولغة الحكمة والمعرفة والقرآن...

أ : **بثينة عبد الله عبد الغني آل عبد الغني**